# الفصل السادس

## الحياة الثقافية لليهود في الأندلس

## المبحث الأول

## التربية والتعليم عند يهود الأندلس

**عاش اليهود في الأندلس داخل المجتمع الإسلامي المتميز بشدة إقبال أبنائه على العلم والتعلم[1]، والذي لم يقتصر التعليم بين أفراده على فئة معينة، أو على أبناء المدن الكبرى، وإنما شمل معظم أفراد المجتمع، ووصل إلى جميع أرجاء الأندلس، يؤكد ذلك العذري، وهو يتحدث عن مدينة شلب، حيث يقول: "قل أن يرى من أهل شلب من لا يقول شعراً، و لا يتعانى الأدب، ولو مررت بالحراث خلف فدانه، وسألته الشعر لقرض في ساعته، أي معنى اقترحت عليه، وأي معنى طلبت منه صحيحاً"[2].**

**وكان من الطبعي أن يتأثر يهود الأندلس بهذا المجتمع الذي كان أفراده إما عالم أو متعلم، ويقلدوه في الإقبال على العلم[3]، بعد أن عاشوا قروناً في هذه البلاد قبل مجيئ المسلمين، بعيداً عن جميع العلوم والآداب، ودون أن يبرز منهم عالم واحد، وحتى القلائل المتعلمون لا يعرفون إلا العلوم الدينية التي يتناقلونها منذ قرون عدة دون زيادات أو إضافات تذكر عليها[4].**

**اتخذ يهود الأندلس بيعهم مدارس لتدريس أبنائهم الصغار، مثلما فعل المسلمون الذين كانوا يعقدون دروس العلم في المساجد، وكانت الدروس في هذه البيع تعقد في مصلى البيعة أو في غرفة جانبية داخلها. وكان تعليم الصغار في هذه البيع يتم على حساب الطائفة، أما أبناء الأثرياء فإن تعليمهم كان في مدارس خاصة، وهذه المدارس هي بيوت المعلمين الذين يتقاضون على تعليمهم أجوراً يدفعها لهم الآباء شهرياً[5]، ومثلما يفعل المسلمون، دفع الآباء اليهود إلى معلمي أبنائهم جزءاً من رواتبهم نقداً، بينما دفعوا الجزء الآخر على شكل سلع، وإضافةً إلى الأجور المحددة فإن آباء الطلاب كانوا يقدمون الهدايا للمعلمين في الأعياد اليهودية حسب قدراتهم المادية[6].**

**وكان تعليم أطفال اليهود في الأندلس يبدأ عندما يبلغ الطفل سن السادسة، وذلك عملاً بتوجيهات قدماء الأحبار، ولكن الأطفال النبهاء كانوا يُرسلون إلى المدارس الخاصة قبل بلوغهم ذلك العمر[7].**

---

[1] ينظر: ابن حزم الأندلسي، رسالة أبي محمد بن حزم في فضائل الأندلس، نشرها وقدم لها: صلاح الدين المنجد، تحت عنوان: فضائل الأندلس وأهلها لابن حزم، وابن سعيد، والشقندي، (دار الكتاب الجديد، ط1، 1387هـ-1968م)، ص8؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص236؛ السلفي، أخبار وتراجم أندلسية، ص40، 114؛ المقري، نفح الطيب، م3، ص374.

[2] القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، (بيروت، دار صادر، 1969م)، ص541.

[3] جوايتاين، دراسات، ص155.

[4] الفت، جلال، الأدب العبري القديم والوسيط، ص130.

[5] الكواتي، اليهود في المغرب، ص157؛
ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.91.

ينظر: جوايتاين، دراسات، ص155.

[6] ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.91.

[7] IBID, VOL.3, P.92, 269.

**وحسب العُرف السَّائد بين اليهود مُنذُ القِدم، كان أبناء اليهود في الأندلس يتعلّمون أولاً القراءة والكتابة[1]؛ وكانت الطريقةُ التي يتَّبعُها المُعلمون تعتمدُ على تمرينهم على كتابة كلمات كاملة على ألواح خشبيَّة صغيرة، وبعد تعلم الكتابة والقراءة يتجهُ الطالب لدراسة التوراة مباشرة[2].**

**وعلى ما يبدو فإنَّ هده المرحلة من التعليم مستمدة من نُظم التربية الإسلامية التي تبدأ بتعليم الولدان القرآن الكريم[3]، لأنه كما يقول ابن خلدون: "أصلُ التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعده من الملكات. وسبب ذلك أنَّ تعليم الصّغر أشدَّ رسوخاً وهو أصلٌ لما بعده"[4].**

**وكان أولاد يهود الأندلس ينتقلون إلى مرحلة تعليم أعلا عندما يبلغون سن العاشرة، حيث يدرسون ما يعرف عندهم بالشريعة الشفوية، وفي هذه المرحلة كان النابهون من الأولاد يُعَلَّمونَ أيضاً اللغة العبرية، وكانت طريقة التعليم تعتمد على قراءة نصوص من أعمال أدبية وشعرية لكتاب وشعراء من يهود الأندلس، وقد أخذ المعلمون اليهود هذه الطريقة عن معلمي اللغة العربية المسلمين[5]، ومع وجود الاهتمام بتعليم اللغة العبرية، ووجود عَدد لا بأس به من المثقفين الذين يجيدون تلك اللغة، إلاَّ أن اللّغة السائدة بين يهود الأندلس، كانت اللغة العربية.**

**وقد تذَمَر سليمان بن جابيرول وموسى بن جقطلة من الافتقار إلى المعرفة باللغة العبرية بين اليهود الأندلسيين، وأكد ابن جقطلة أنهَّ على العكس من ذلك فإن يهود جنوب فرنسا يعرفون العبرية جيداً، بل وحتى إنهم معتادون على التحّدث بها، وكان سليمان بن يوسف بن يعقوب الطبيب السرقسطي الذي قام بترجمة تفسير موسى بن ميمون للميشنا من العربية إلى العبرية في أواخر القرن السابع الهجري، قد أظهر غيظه من علماء يهود الأندلس في أواخر القرن الرابع وفي القرن الخامس الهجريين، الذين كانوا جميعاً يكتبون ملاحظاتهم وردودهم باللغة العربية، بحجة أنها اللغة التي يفهمها جميع اليهود[6].**

**وكان الطلاب في هذه المرحلة أيضاً يدرسون اللّغة العربية، وكانت القراءات المتكرّرة للأشعار العربية تُعَدُ طريقة جيدة للتعليم، وفي أغلب الأحيان كان الطلاب اليهود يدرسون اللغة العربية في حلقات الأساتذة المسلمين[7].**

**وسبب اهتمام اليهود بتعليم أولادهم اللغة العربية يرجع إلى أنها لغة العلم والثقافة في الأندلس، ومن لا يتقنها، لا يستطيع أن يأخذ حظه من علوم المسلمين. كما أنه سيعجز عن الدراسة في المعاهد اليهودية في الأندلس التي أصبحت الدراسة فيها باللغة العربية منذ عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن الذي أصدر أمراً بذلك.**

---

(1) ASHTOR , THE JEWS, VOL.3, P.92-93.
ينظر: جوايتاين، دراسات، ص147-148.

(2) IBID, VOL.3, P.92-93;

(3) ينظر: القابسي، علي بن محمد بن خلف الأندلسي القيرواني، الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، "نشرها الأهواني ضمن كتابه: التعليم في رأي القابسي"، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر، 1342هـ 1940م)، ص264-283.

(4) ابن خلدون، العبر، جـ2، ص1038.

(5) ATHOTR , THE JEWS, VOL.3, P.94-95.

(6) IBID ,VOL.3,P.100.

(7) ASHTOR , THE JEWS.VOL.3, P.95.

**ودراسة التلمود هي أعلى مرحلة في التَّعليم، وهي موجهة أساساً إلى المثقفين ثقافةً عاليةً[1]. وكان الأولاد المنتظمون في الدراسة يصلون إلى دراسة التلمود عندما يبلغون الثالثة عشرة من العمر. وتستمر دراستهم له مُدة ثلاث سنوات، ينتقلون بعدها إلى دراسة المسائل الفقهية بعمق أكبر[2].**

**وكان التعليم عند يهود الأندلس مقتصرُ في كلَّ مراحله على الأولاد فقط، أما الفتيات فقد كنَّ يتعلّمن الغزل وبقية صنوف العمل المنزلي في بيوتهنَّ على أيدي أمهاتهنَّ[3]. وتُظهر وثائق الجنيزة التي تُعبّر عن أوضاع يهود العصور الوسطى، في منطقة البحر الأبيض المتوسَّط وجود القليل من المدارس الخاصة بالبنات، وأن المعلّمين في هذه المدارس كانوا من العميان أو من النسَّاء المتخصصات[4]، وباختصار فإنَّ تعليم الفتيات كان سطحيّ وضئيل[5].**

**إنَّ مستوى المدارس اليهودية التلمودية في الأندلس، وقابليتها لاجتذاب الطلاب كانت تختلفُ باختلافِ مستوى المعلَّمين العاملين فيها. وفي القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي كانت مدرسة التلمود في أليسانه هي المدرسة التلمودية الأفضل في الأندلس، ولكن في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي وبعد وصول الحبر موسى بن حنوخ إلى الأندلس تفوقت عليها مدرسة قرطبة. وصارت المدرسة التلمودية الأقدر على اجتذاب الطلاب اليهود في الأندلس، وذلك بسبب جهود حسداي بن شبروط وموسى بن حنوخ في تطويرها.**

**وفي النصف الأول من القرن الخامس الهجري/منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، كانت هناك مدارس تلمودية في عدد من مدن الأندلس، وقد كرَّس طلاَّبها أنفسهم للدراسة باجتهاد وحماس للتعليم. وقام شاعر يهوديَّ أندلسيَّ في ذلك العصر بتصوير طريقة دراستهم وضجيجِ أصواتهم وحركاتهم أثناء الدراسةِ ومناقشاتهم بطريقة ساخرة[6].**

**كانت الدراسة في مدارس التلمود الأندلسية تختلفُ نوعاً ما عن تلك المدارس المشابهة في دول أخرى، وكان معلمو التلمود في الأندلس مشهورين بحسن طرقهم في التدريس، فبدلاً من إرهاق الطلاب وتشتيتهم بالمناقشات الخلافية الكثيرة بين العلماء، اعتمدوا على تدريسهم ردود أحبار العراق، التي كانت تصلهم باستمرار، والتي تميزَّت بالوضوح، وكانت دراسة الرَّدود تشكَّلُ موضوعاً رئيساً للدراسة في مدارس الأندلس التلمودية، وكان لردود الحبر حيّ مكانة خاصة. وكانت كتابات الحبر حنانيل تُقرأ أيضاً بشكل كبير[7].**

**ولم يكتف بعض الطلاب اليهود بالتعلم الديني داخل الأندلس، بل غادروها لتتلمذ على أيدي أحبار مشهورين يقيمون في بلدان أخرى، وكان غيابهم يستغرق سنوات عدة في بعض الأحيان، ومن الأحبار الذين توجه إليهم بعض الطلاب اليهود الأندلسيين الحبر رابينو غيرشون RABBĒNŪ GERSHŌM)) الذي كان يقيم في ألمانيا[8].**

---

(1) جوايتاين، دراسات، ص117، الكواتي، اليهود في المغرب، ص155.

(2) ASHTOR , THE JEWS ,VOL.3,P.95.

(3) الكواتي، اليهود في المغرب، ص156؛
ATHOTR , THE JEWS, VOL.3,P.93.

(4) جوايتاين، ص177.

(5) ASHTOR , THE JEWS, VOL.3, P.93.

(6) ASHTOR , THE JEWS, VOL.3, P.96.

(7) IBID, VOL.3, P.96.

(8) نقلاً عن: RESPONSA ALFASI.NO.294 ,RESPONSA IBN MIGASH, NO.112;
ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.96-97;

**وأعتقد أن الطلاب اليهود قد أخذوا هذه العادة عن الطلاب المسلمين، الذين كانوا يرتحلون من بلد إلى آخر، للأخذ عن كبار العلماء.**

**وكان الطُلاَّب اليهود ذوي الميول نحو العلوم والأدب، يدرسون على أيدي معلمين مسلمين. ومن هؤلاء اليهود إبراهيم بن سهل الإسرائيلي الإشبيلي، الذي تلَّقى قواعد اللغة العربية على أيدي الأساتذة المسلمين أمثال أبي علي الشلوبين، وأبي الحسن الدباج، واصبح شاعراً وباللغة العربية بارعاً. وكان الطلاب اليهود يجلسون في حلقاتِ العلمِ جنباً إلى جنب مع الطلاَّبِ المسلمين[1]. ويفاخرون بمعرفهم بالنحو العربي، ويحرصون على إظهار قدراتهم فيه، يلاحظ ذلك في كثير من أشعار إبراهيم بن سهل، مثل قوله :**

**أموسى أيا بعضي وكلي حقيقة وليس مجازاً قولي الكلَّ والبعضا**
**خفضتُ مكاني إذ جَزَمتُ وسائلي فكيفَ جمعتُ الجزمَ عِنديَ والخفضا[2]**

**وقوله :**

**تنأى وتدنـو والتـفاتك واجدُ كالـفِعلِ يعملُ ظـاهـراً ومُقدَّرا[3]**

**وقوله :**

**وقرأنـا بـابَ المـضافِ عناقاً وَحَـذَفنا الرَّقَـيـبَ كالـتـنويـنِ[4]**

**ويروي الشنتريني أنَّ الشاعر الأندلسي الشهير أبي عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد، كان أستاذاً ليهودي اسمه يوسف بن إسحاق يعلمه الشعر والأدب[5].**

**وتُبيّنُ وثائق الجنيزة أنَّ المتعلّمين من اليهود لم يقصروا اطّلاعهم على الكتب الدينية فحسب، بل كانت لهم أيضاً اهتماماتهم الزائدة بالمواضيع العلمية المختلفة، وخاصة في مجالِ الفلسفةِ والعلوم[6].**

**وكان موسى بن ميمون المتوفى في مصر سنة (605 هـ=1204م) أحد الطلاَّب اليهود الذين تلقوا علمهم في الأندلس، إذ يقول عنه ابن العبري: "وكان قد قرأَ عِلْمَ الأوائلِ بالأندلس، وأحكم الرياضيات، وقرأَ الطّبَ هناك فأجاده"[7].وذكر ابن سعيد أنّ إسحاق بن شمعون اليهودي القرطبي الذي كان أحد عجائب الزمان في الاقتدارِ على الألحان، كان تلميذاً لابن باجه[8].**

**وظلَّ الطلاَّب اليهود يتلقون مختلفَ العلوم على أيدي الأساتذة المسلمين الأكفاء،حتى في المدن الأندلسية التي كانت تقع في قبضةِ النصارى الأسبان، وعن ذلك يقولُ المقَّري: "وكان محمد بن أحمد بن أبي بكر القرموطي المرسي من أعرفِ**

---

نقلاً عن:
IBN AKNIN, TIBB AL-NUFUS, NO.52; SEFER HA-MAFTEAH, (VEINNA, 1847). FOLIO 25A.

[1] المقري، نفخ الطيب، م2، ص307، الجالي، محروس، أبو نواس الأندلس، ابن سهل الإسرائيلي، (القاهرة، دار الفكر العربي، 1986م)، ص32-33.

[2] المقري، نفخ الطيب، م3، ص524.

[3] م. ن، م3، ص525.

[4] م. ن، م3، ص525.

[5] الذخيرة، ق1، م1، ص233-234.

[6] جوايتاين، دراسات، ص206.

[7] ابن العبري، غريغوريوس الملطي، تاريخ مختصر الدول، (بيروت، ط2، 1958م)، ص239-240.

[8] المغرب في حلى المغرب، جـ1، ص127-128 (ترجمة رقم: 60).

أهل الأندلس بالعلومِ القديمةِ :المنطق والهندسة والعدد والموسيقى والطب، فيلسوفاً طبيباً ماهِراً، آية الله في المعرفةِ بالأندلس، يُقرئ الأمم بألسنتهم فنونهم التي يرغبون فيها وفي تعلّمها، ولمَّا تغلَّب طاغية الروم على مرسية، عرف له حقَّه، فبنى له مدرسةً يُقرئُ فيها المسلمين والنّصارى واليهود"[1]. وكان في بياسة سنة (553هـ=1158م) عالم غرناطيّ يدعى عبد الله بن سهل، يحضر دروسه جمع كبير من المسلمين والنصارى واليهود[2].

لقد نِعمَ الطلاب اليهود في الأندلس بخير كبير عندما تُركوا يتتلمذون على أيدي العلماء والأساتذة المسلمين الذين ذاع صيتهم، وبلغ حداً جعل الملك الأسباني ألفونس الكبير يستقدم عالمين مسلمين من قرطبة، ويعهد إليهما بتربية وتعليم ولده ووليَّ عهده[3].

إنَّ عدد الطلاَّب الموهوبين الذين أكملوا دراستهم إلى مستوى عالٍ كان قليل جداً، إذ أنَّ معظم الطُلاَّب المنتظمين في الدراسة كانوا ينسحبون في أعمارٍ صغيرةٍ، ويتوجَّهون إلى أعمالٍ أخرى، ولاشَكَّ أن ما تَلَقَّوْهُ من تعليم خلال الانتظام السابق في الدراسة كان يفيدهم في حياتهم الدينية والعملية. وكثيراً ما يشعر الكبار الذين لم يأخذوا بحظ وافرٍ من التعليم في صغرهم بالحاجة إلى العلم وخصوصاً العلوم الدينية. فيترددون إلى البِيَعِ لحضور الدروس الدينية التي كانت تُعقد في ليالي السبت والاثنين والخميس[4]. وفي بعض الأحيان كان الرَّاغبون في التعلّم من أولئك الرجال يعقدون اتفاقاً مع أحد العلماء ليقوم بتدريسهم مقابل أجرٍ مُعَيَّن وفي أحَدِ الأسئلة الموجهة إلى الأحبار في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، هناك ذكرٌ لاتِّفاقٍ حصل بين خمسة رجال في إحدى الطوائف اليهودية في الأندلس، وبين معلّم جاءَ من بلدٍ آخر، وتَعَهَّدَ بإعطائهم الدروس في كلّ أيَّامِ الأسبوع[5].

وقد اهتم العلماء اليهود بالجانب النظري التربوي فناقشوا هذه المسألة في كتاباتهم ومؤلفاتهم، إذ تطرَّقَ موسى بن ميمون في كتابه "كتاب المعارف" للطرق التي يمكن بواسطتها دراسة الشريعة اليهودية[6].

وكتب الحبر يهودا بن صاموئيل بن عباس المعروف لدى المسلمين بأبي البقاء بن يحيى بن عباس المغربي الأندلسي[7] رسالة حولَ التعليم[8]. ويمكن أن نعرفَ الآراء التربوية لأبي البقاء من خلالِ ما سجله ابنه السموءل بن يحيى بن عباس في كتابه: "بذل المجهود في إفحام اليهود" الذي ألَّفه بعد أن أسلم، وكتابه "الباهِرُ في الجبر" الذي يقول فيه : "وشغلني أبي بالكتابة بالعلم العبري ثمَّ بعلوم التوراةِ وتفاسيرها، حتى إذا أحكمتُ علم ذلك عند كمال السنة الثالثة عشرة من مولدي شغلني حينئذٍ بتعلُّمِ الحسابِ الهندي، وحل الزيجات عند الشيخ الأستاذ العالم أبي الحسن الدسكري. وقرأتُ عِلْمَ الطب على الفيلسوف أبي البركات هبة الله بن علي ... والتأمُّل في علاجِ الأمراض ومشاهدة ما ينفعُ من الأعمالِ الصناعية

---

(1) نفخ الطيب، م4، ص130.
(2) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص400.
(3) رينو، الفتوحات الإسلامية، ص268.
(4) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.98.
جواتياين، دراسات، ص155.
(5) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.99.
(6) الكواتي، اليهود في المغرب، ص156.
(7) عن كونه أندلسي، ينظر: ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص217.
(8) السموءل بن يحيى، بذل المجهود، ص4؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص217.

**في الطب والعلاجات ... فأمَّا الحساب والربح فإني أحكمتُ علمهما ... حينما كمل بي أربع عشرة سنة"[1]. وفي كتابه "بذل المجهود في إفحام اليهود" يقول: "وقد كنتُ قبل اشتغالي بهذه العلوم، وذلك في السنة الثانية والثالثة عشرة معتنياً بالأخبار والحكايات، شديد الحرصِ على لإطّلاع على ما كان في الزَّمن القديم، والمعرفةِ بما جرى في القرونِ الخالية. فاطَّلعتُ على التصانيف المؤلفة في الحكايات والنوادر على اختلافِ فنونها، ثم انتقلتُ عن ذلك إلى محَّبةِ الأسمارِ والخرافات الطّوال، ثم إلى الدواوين الكبار، مثل ديوان أخبار عنترة ... وطلبتُ الأخبار الصحيحة فمالت نفسي إلى التواريخ، فقرأتُ كتاب مسكويه الذي سّماه "تجارب الأمم"، وطالعتُ تاريخ الطبري وغيرها من التواريخ..."[2].**

**إنَّ الطريقةَ التي تعلَّم بها السّموءل لم تكن على ما يبدو تشمل كلَّ أبناء اليهود ولكنَّها تُمثِّل نموذجاً لتعليمِ أبناء الشخصيات المرموقة. وأمَّا الطريقة المُثلى التي وردت في كتاب والده النظري حول التعليم فيمكن إيجازها فيما يلي: في سنّ الثالثة يبدأ الطفل بتعلَّم القراءة، وفي الرَّابعة والنِّصف يدرس الأبواب الأولى من التوراة. وعندما يصل الطفل سنّ السادسة والنصف عليه أن يدرس أسفار موسى الخمسة متبوعة بالترجمة الآرامية التي تُعدُّ مدخلاً لدراسةِ التلمود، وبعدها تأتي دراسة أسفار الأنبياء. وحينما يصل الطفل الثالثة عشرة تبدأ عملية تدريسه النحو من كتب المتخصصين في هذا الميدان كابن جناح، وداود القمحي، ويهود حيوز، وأبراهام بن عِزرا، وذلك بموازاة دراسة التلمود، حيث يبدأ التلميذ بالفصل البابلي. وفي الثامنة عشرة يتزوّج الطالب، وحينئذٍ يشتغل بدراسة العلوم كالطب والفلسفة والفلك والميكانيكا والموسيقى، وتُدرس جُلُّ هذه المواد من كتب علماء المسلمين[3].**

**وفي التربية النظرية أيضاً، أَلَّفَ الحبر اليهودي يوسف بن أكنين كتاب "طب النفوس" باللغةِ العربية، وكتبه بالحروف العبرية، وتحدث فيه عن المعلم المثالي، والتلميذ النجيب. وأَفردَ الفصل السابعِ عشر لفضائل المعلم والتلميذ، وهو على ما يبدو قد اطلع على كتاب محمد بن سحنون "آداب المعلمين". وتأثر به، وأَخَذَ عنه في كثيرٍ من الفصول[4].**

**المبحث الثاني : النشَّاط اللغوي والأدبي لليهودِ في الأندلس.**

**كانت اللغة العبرية زمن الفتح الإسلامي للأندلس لغة مهملة، ليس بين يهود الأندلس فحسب، ولكن بين اليهود في جميع بلدان العالم، إذ كان اليهود في معظم الأحيان لا يستعملون هذه اللغة إلاَّ في بيعهم وصلواتهم. وكان كثير منهم لا يفهمون الترانيم والطقوس التي يؤدونها بها، ولذلك كانوا يستمعون إلى التوراةِ في بِيَعهم مترجماً إلى الآرامية[5].**

**وقد بدأ إهمال اليهود للعبرية في أعقاب السبي البابلي لهم (539 ق.م) البابلي لهم، إذ صارت الآرامية هي اللغة التي يستعملونها في الحياة اليومية، وتوقَّف الإنتاج الأدبي اليهودي باللغة العبرية، وانتهى أمرها كلغة حية بين اليهود.**

---

(1) السموءل بن يحيى، الباهر في الجبر، تحقيق وتحليل: صلاح أحمد، ورشدي راشد، ( دمشق، مطبعة الجامعة، 1972)، المقدَّمة، ص6.
(2) السموءل بن يحيى، بذل المجهود في إفحام اليهود، ص6-7.
(3) الكواتي، اليهود في المغرب، ص157.
(4) م. ن، ص157.
(5) راشد، سيد فرج، "دور الحضارة الإسلامية في تكوين الأدب العبري في الأندلس"، مجلة "المنهل"، (م: 45، ذو العقدة/ذو الحجة، 1304هـ-1983م)، ص118؛ شحلان، أحمد، "تأثير الآداب العربية في الآداب العبرية"، دراسات مغربية في الفلسفة والتراث والفكر العربي الحديث، مهداة إلى المفكر المغربي محمد عزيز الجنابي، (الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1985م)، ص174؛
ينظر: هنداوي، إبراهيم موسى، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ( القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1963م)، ص5.

**ومنذ تلك العصور وحتى القرن الرابع الهجري/العشر الميلادي لم يطرأ تطور إيجابي يستحق الذكر على قواعد هذه اللغة وآدابها. بل إنَّ اللغة القديمة التي كتبت بها التوراة قد تأثرت بعد السبي البابلي باللغات الآرامية واليونانية والفارسية، وأدخلت إليها مصطلحات وتراكيب من تلك اللغات جعلتها لغة مختلفة. وهذه اللغة الجديدة هي التي كتب بها يهوذا الناسِي المِشنا في القرن الثاني الميلادي[1].**

**وقد ظلَّت اللغة العبرية في جميع البلدان التي تَفرَّق فيها اليهود، على حالها من الترك والإهمال إلى أن اختلط اليهود بالمسلمين، وتعلَّموا اللغة العربية وقواعدها وآدابها وقوَّموا بها ألسنتهم وأذواقهم، ورأوا كيف يخدم المسلمون لغتهم من منطلقٍ ديني باعتبارها لغة القرآن الكريم والحديث الشريف. فقرَّروا خدمة لغة كتبهم المقدَّسة، بوضع قواعد لها على طريقة المسلمين في خدمة لغتهم العربية[2].**

**وكان النحو العبري قد نشأ في العراق على يدي سعديا بن يوسف الفيومي (ت:279هـ=892م)، الذي كان رئيساً لمدرسة سورا. إذ ألف أول معجم عبري في تاريخ اللغة العبرية، إضافة إلى كتاب آخر من اثني عشر جزءاً ينظّم قواعد اللغة العبرية، سمّاه "كتاب اللغة" وكتبه بالعربية[3].**

**وبالرَّغم من أنَّ النحو العبري لم ينشأ في الأندلس، إلا أنَّ الدراسات النحوية واللغوية لم تنهض وتزدهر وتصل إلى مرحلة النضوج إلا على أيدي يهود الأندلس[4].**

**وأوَّل عالمٍ لغوي نحوي ظهر في الأندلس هو "مناحيم بن ساروق الطرطوشي (298-349هـ=910-960م) الذي اتَّصل بحسداي بن شبروط وزير الخليفة عبد الرحمن الناصر في قرطبة وصار سكرتيراً له. وفي تلك المدَّة التي تمتَّع فيها مناحيم بعطف حسداي وتشجيعه أنتج إنتاجه الفكري الذي هيأ له مكاناً رفيعاً في تاريخ الفكر اليهودي، وأهم أعمال مناحيم اللغوية، المعجم العبري الذي يُسمى "محبريت" أي التفسيرات، ويُعدُّ هذا المعجم أوّل عملٍ لغوي في العبرية يغطّي جميع مفردات الكتاب المقدَّس[5]. والكتابُ مقدَّم بمقدّمة طويلةٍ عن النحو العبري، وطريقته في التأليف هي طريقة نحاة العرب، وقد أفاد هذا الكتاب كثيراً العلماء اليهود في أوروبا، وكان سبباً في قَيامهم بدراساتٍ لغويةٍ مستفيضة، لأنه كان الكتاب النحوي الأول الذي كتب باللغة العبرية، إذ أنَّ مؤلفات اليهود النحوية كانت تكتب وقتئذٍ باللغة العربية[6].**

**وهناك معاصر لمناحيم يدعى دُوناش بن لَبْراط هاليفي، وهو أحد أفراد عائلة هاجرت إلى مراكش من بغداد، وقد ولد في فاس سنة (308هـ=920م)، وتلقى فيها تعليمه، ثم أُرسل إلى العراق حيث تعلم على يدي سعديا الفيومي، ودرس اللغة**

---

(1) راشد، "دور الحضارة الإسلامية في تكوين الأدب العبري في الأندلس"، مجلة "المنهل"، (م: 45، ذو العقدة/ذو الحجة، 1304هـ-1983م)، ص118.

(2) هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص26-27؛
ASHTOR,THE JEWS, VOL.1, P.383-384,
ينظر: NEHMAN, THE JEWS IN SPAIN, VOL.2, P.98.

(3) هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص8.

(4) م. ن، ص9.

(5) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.247
هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص10. ينظر: بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص488-489.

(6) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.249;
DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VO1.2, P.634.

**العربية والأدب العربي دراسة مكّنته من معرفة فنونه. وقد أُعجب بعلوم العربية وآدابها إعجاباً جعله ينصح اليهود في بيت شعر كتبه بالعبرية ليتعلموا العربية،يقول فيه:**

**فلتكن الكتب المقدسة جنّتك**

**ولتكن الكتب العربية فردوسك**

**ثمَّ عاد إلى مراكش، وعندما سمع بالدعم الذي يقُدَّمه حسداي بن شبروط للعلماء اليهود سافر إلى قرطبة، وسرعان ما لمع اسمه بين المثقفين اليهود فيها قرطبة، حيث كان يكتب الشعر باللُّغةِ العبرية على بحور الشعر العربي، وكان رائد هذا التطوير في الشعر العبري[1]. وقد تزامن بروز دوناش مع طرد مناحيم من قرطبة، حيث غضب عليه حسداي بسبب آرائه القرَّائية، وأمر بضربه وطرده، فعاد إلى طرطوشة التي جاء منها[2]، ووقعت النسخة الأصلية من كتاب مناحيم "التفسيرات" في يدِ دوناش، فَقرأه، وكتب له نقداً سمَّاه "الردود" وهو كتاب عظيم الأهميَّة لأنه مكتوب بأسلوبٍ شعري، ويعدُّ أوّل شعرٍ تعليمي نحوي في الأدب العبري[3].**

**وعمل دوناش هذا يدل على أنَّ النحو العبري قد وصل في الأندلس إلى متقدمة من الكمال، وقد شغل دوناش مكانةً رفيعةً في تاريخ النحو العبري. وكان لكلٍ من مناحيم ودوناش تلاميذ، وكلٌّ فريق يناصر أستاذه، ويدافعُ عنه بأسلوبٍ جدليٍّ علمي كان له أثر كبير في تقدم دراسة النحو واللغة، وتكوَّنت لكل منهما مدرسة، وكانت المجادلات بين تلاميذ كلّ مدرسة مستمرة[4].**

**وقد تولَّى الرَّد على كتاب دوناش ثلاثة من تلاميذ مناحيم البارزين هم إسحاق بن جقطلة وإسحاق بن قبرون ويهودا بن ديفيد، وقد شاركوا في تأليف كتاب سَمّوه "الرد على الرد"، دافعوا فيه عن آراء أستاذهم، وقد أهدوا كتابهم إلى حسداي بن شبروط. وخدم عملهم هذا اللغة العبرية والنحو العبري في شرحِ النظريات النحوية العبرية، لكنه لم ينتج مادةً جديدة زيادة على ما وصل إليه مناحيم ودوناش[5].**

**ولم ينته الجدل الفكري حول منهجية النحو العبري بين مفكري الأندلس، إذ قام أحد تلاميذ دوناش ويدعى يهودي بن شيشت بالردَّ على تلاميذ مناحيم بأسلوب هجائي شعري. وهكذا استمرَّ الجدل الأدبي وأثار المشاعر في الحلقات الفكرية اليهودية في الأندلس. وانقسم المثقفون في هذه الحلقات إلى فريقين، فريقُ يؤيَّد مناحيم وتلاميذه، والآخر يؤيد دوناش وتلاميذه، وراح كل فريقٍ يبحثُ عن الحجج والأدلَّة لمناقضة معارضيه، فاتَّسع مجال المعرفة[6].**

---

(1) هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص10؛ عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص27؛ ينظر: بالنثيا 'تاريخ الفكر الأندلس، ص489؛
ASHTOR, THE JEWS, VO1.1, P.254.

(2) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.250-251;
DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VO1.2, P.634.

(3) هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص10.

(4) م. ن، ص11؛ ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.258-261;
ينظر: عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص30.

(5) هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص11؛
ASHTOR, THE JEWS, VOL ,1 P. 258-260;

(6) هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص11؛
ASHTOR, THE JEWS, VOL ,1 P.260;

**استمرَّ النحو العبري بالتطوُّر والازدهار على يدي أحد تلاميذ مناحيم بن ساروق، وهو أبو زكريا بن داود المشهور بيهودا بن حيوج[1]، الذي وُلِدَ في مدينة فاس سنة (360هـ=970م)، ثم انتقل إلى قرطبة حيث عاش وتلقى تعليمه فيها[2]. وقد نال الشهرة في نهاية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ، وكان له تلاميذ كثر، من بينهم إسماعيل بن نغدلة ومروان بن جناح. وكان حيوج مشهوراً عند النحاة العبريين المتأخرين بأنه مؤسس الدراسات العلمية للنحو العبري[3]. وقد ظهر حيوج في الوقت الذي ازدهرت فيه الثقافة العربية في الأندلس، فتأثر بذلك، إذ يقول الشاعر اليهودي الأندلسي موسى بن عزرا الذي عاش في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي: "ولما افتتح العرب جزيرة الأندلس تفهمت جاليتنا بها بعد مدة أغراضهم، ولقنت بعد لأيٍ لسانهم، وبرعت في لغتهم، وتفطنت لدقة مراميهم، وتمرنت في حقيقة تصاريفهم، وأشرفت على ضروب أشعارهم، حتى كشف الله لهم من سر اللغة العبرانية ونحوها، واللين والإقلاب والحركة والسكون والبدل والإدغام وغير ذلك من الوجوه النحوية، مما قام عليه بُرهان الحق، وعضّده سلطان الصدق، على يدي أبي زكريا يحيى بن داود حيوج"[4].**

**ويقول آشتور: "كان أبو زكريا حيوج مشهوراً بذهنه التحليلي، وأفكاره الدقيقة، وعند إتباعه لخطوات النحاة العرب، أوضح بأن الأفعال العبرية ثلاثية الجذور أيضاً. وكان ذلك اكتشاف غاية في الأهمية. فبضربة واحدة أنار حيوج ظلمة كل المشكلات التي تَحدَّت النحاة، حتى جاء هو، فافتتح عَصراً جديداً لعلم اللغة العبرية لكنَّ الفضل في هذا لا يعودُ إلى حيوج وحده. إذ أنه اعتمد على مناهج النُّحاة العرب، لكنه وبفضل غريزته اللّغوية عرف إلى أي مدى كان بالإمكان تطبيق هذه المناهج على لغةٍ أخرى"[5].**

**وأهمّ مؤلفات حيوج في النحو العبري، هي: "كتاب حروف اللِّين، وكتاب "الأفعال ذوات المِثْلين"، وهذان الكتابان اللذان صارا عملاً أساسياً للنحو العبري، أصبحا مرتبِطَين باسم مؤلفهما، وسُمِّيا كتابي حيّوج. وقد تُرجما من العربية إلى العبرية ثلاث مرّات، وأُعيدت صياغتهما مرَّاتٍ عدَّة. كما صدرت رسالة أخرى بقلم حيوج تتعلَّق بقوانين التَّلَفُّظ، واسم هذا الكتاب بالعربية "كتاب التنقيط"، ورسالة رابعة تحمل اسم "كتاب النُّتف" وهو كتابٌ في التفسير اللغوي[6].**

**إضافة إلى أعمال أخرى بدأها ولم يكملها، إذ توفي في ذروة شبابه في العقد الأول من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي. وعلى الرغم من عدم تمكنه من إكمال بعض كتبه، إلاّ أنَّ إنجازاته الكبيرة جعلت علماء الأجيال اللاحقة يقدرونه، ويُجمعون على أنه أبو النحو العبري[7].**

---

(1) بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص489؛
ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.386-387;
(2) DUBNOV HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.635;
ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.386-387.
(3) ASHTOR, THE JEWS, VOL,1, P.391;
هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص11-12.
(4) هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص12 ؛ الكواتي اليهود في المغرب، ص163.
(5) THE JEWS, VOL.1, P.388.
(6) IBID, VOL.1, P.389-39;
ينظر: هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص13؛
DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.635.
(7) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.391;

بعد موت حيوج برز في مجال النحو العبري أحد تلاميذه النُّجباء، وهو أبو الوليد مروان بن جناح، ويُسمّى بالعبرية "الحاخام يوحنا". ويسمّيه النصارى "يونا" أو مرينوس (MERINOS)، وقد ولد في قرطبة سنة (380هـ=990م)، وعاش في بيئتها العلمية المزدهرة ثم تركها سنة (403هـ=1012م) بسبب الحرب الأهلية التي أعقبت سقوط الخلافة، واستقَّر في أليسانة، ثمّ انتهى به المطاف في سرقسطة، فأقام فيها بقية حياته، وألف فيها مؤلفاته في اللغة والنحو، ومات عام (447هـ=1055م)[1].

تميزَّت أعمالُ ابن جناح في النحو العبري، وكانت غزيرة تحمل كثيراً من الإبداع، وقد أعانه على ذلك تضلّعه من اللغة العربية، وإتقانه لقواعدها، ودراسته لأمّهات كتب النحو العربي ككتاب سيبويه[2]، ويقول فيه ابن أبي أُصيبعة: "كان...يهودياً وله عناية بصناعة المنطق، والتوَسّع في علمِ لسان العرب واليهود"[3].

ومن أهمِ مؤلفات ابن جناح النحوية كتاب "المستلحق" الذي ينقدُ فيه كتابي الأفعال ذوات المثلين، والأفعال ذوات حروف اللين لحيّوج، ويضيف إليهما[4]. وكتاب "التشوير" الذي يرد فيه على كتاب "رسائل الرفاق" الذي ألّفه إسماعيل بن نغدله وأنصاره دفاعاً عن آراء أستاذهم حيوج الذي انتقده ابن جناح[5]. وكتاب "التنبيه" الذي يردُّ فيه على كتاب "الاستيفاء" الذي ألَّفه خصومه في سرقسطة، وانتقدوا فيه كتاب "المستلحق"[6]. ورسالة "التقريب والتسهيل" المخَصَّصة لتسهيل فهم المبتدئين لكتابي حيوج السالفي الذكر. وكتاب "التسوية" الذي يردُّ فيه على جدالٍ حدث في بيت صديقه أبي سليمان بن طراقة بسرقسطة، وهوجمت فيه آراؤه من قبل أنصار إسماعيل بن نغدله[7]. وكتاب "التنقيح" الذي يُعَدُّ أهمّ مؤلفاته على الإطلاق[8]. وقد أَلَّفه وهو في سنِّ الشيخوخة، وقسَّمه إلى كتابين، سمّى الأول كتاب "الأصول"، وهو معجم شامل لِلغةِ الكتاب المقدَّس، وسَمّى الثاني كتاب "اللُّمَع"، وهو يُعَدُّ الكتاب العلمي الجامع للنحو العبري بعد أن بلغ أَوج نضوجه وازدهاره[9].

---

ينظر: هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص11-12.

(1) بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص489؛ هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص18؛
DUBNOV HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.635-636;
ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.12-13.

(2) هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص18؛
ينظر: المقري، نفح الطيب، م3، ص525.

(3) عيون الأنباء، ص498.

(4) هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص21؛
ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.19.

(5) هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص22؛
ينظر: بالنثيا تاريخ الفكر الأندلسي، ص492 ؛
DUBNOV HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P. 636.

(6) هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص22-23؛
ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.20-21.

(7) هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص23-24؛
ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.21-24.

(8) بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص489.

(9) هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص25-26؛
ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.26-28.

**وتُظهر كتابات ابن جناح الأثر العربي الكبير في فكره وأسلوبه[1]. ومما يدّل على ذلك أنَّه بدأ كتابه "اللّمع" على طريقة الكتاب المسلمين حيث يقول فيه: "الحمد الله الذي خلق الإنسان، فعلَّمه النُّطْقَ، وهداه إلى الإقرارِ بربوبيته، والإعلان بوحدانيته، فأوضح له سبيل الهدى، واستنقذه من طريقِ الرَّدى، وخَصَّ اللُّغةَ العبرية بالفضل والميزة من بين جميع اللغات، فأنزل بها كتبه المقدَّسة، وأبان بها شرائعه المطهرة، أحمده حمداً يبلغُ رضاه، ويوجِبُ الألفةَ لديه، والقربة من رحمته"[2]. وأنَّه يقول في موضِع آخر من الكتاب نفسه: "وما لم أجد عليه شاهِداً مما ذكرتُه، ووجدتُ الشَّاهِدَ عليه من اللسان العربي، لم أتحرَّجّ من الاستشهادِ بواضحه، ولم أتحرَّج من الاستدلالِ بظاهره، كما يتحرَّج من ضعف علمه، وقلَّ تمييزه من أهل زماننا، لا سيّما من استشعر منهم التَّقشّف، وارتدى بالتدين مع قِلَّة التحصيل لحقائق الأمور"[3].**

**ومثلما اتخذ النحاة المسلمون القرآن الكريم والحديث الشريف أساساً يعتمدون عليه في دراسة النحو العربي، ويستشهدون بهما للتدليل على قواعد لغتهم، ويستخدمون مهارتهم في اللغة لخدمة تفسير القرآن الكريم والحديث الشريف والتعرَّف على أسرارهما، فعل ذلك ابن جناح، حيث يقول: "وأنا مزمِعُ أنْ أستشهد على شرحِ بعض الأصول بما أمكنني من الموجود في التوراةِ، وما لم أجدْ عليه شاهداً من التوراةِ استشهدتُ عليه بما حضرني من التلمود"[4]، ويقول أيضاً: "ولما كانت منزلة علم اللسان أنه العلمِ الجليل النظر، العظيم القدْر المؤدي إلى علمِ كلامِ الله، المعين على العملِ بأمره ونهيه، المزلف إلى ثوابه، المبعد عن عقابه، اعتقدنا أنَّ نؤلّفَ في ذلك كتاباً نجمعُ فيه أبواباً تشتمل على أكثر علم اللغة"[5].**

**وتأتي أهمية مؤلفات ابن جناح من أنَّ معظمها قد وصل إلينا، وأسهم في خدمةِ اللغة العبرية المعاصرة، بعد أن أخذت هذه المؤلَفات حظَّها من العناية والاهتمام، فترجمت إلى العبرية ونشرت، وكان معظمها قد أُلف بالعربية، واستخدمت الحروف العبرية في كتابتها[6].**

**لقد أحدثت مؤلفات حيوج وابن جناح من بعده نهضةً لغويةً في دراسة اللغة والنحو العبري. واستمرَّ عدد من العلماء الذين جاءوا من بعدهم في الدراسة والبحث، ومن أشهر هؤلاء العلماء:**

**إسماعيل بن نغدله (383-447هـ=993-1055م)، الذي يُعَدّ كتابه "الاستغناء" ذو العشرين جزءاً أهم مؤلفاته في النحو العبري، غير أنَّ أعظم ما قدَّمه ابن نغدله لهذه اللغة هو تشجيعه للعلماءِ والنحاة اليهود على البحث والتأليف، مستغلاً مناصبه وأمواله.**

**وسليمان بن جابيرول (414-463هـ=1023-1070م) صاحب الكتاب النحوي الشعري المختصر، الذي يتحدَّث عنه بالنثيا بقوله: "ولا يظهر الأثر العربي في كبار مؤلفات ابن جابيرول فحسب، بل يتجلّى كذلك في كتاباته الصغيرة، كما نرى**

---

(1) ينظر: بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص492.
(2) الكواتي، اليهود في المغرب، ص161.
(3) هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص28.
(4) م. ن، ص27.
(5) م. ن، ص27؛
ينظر: فرج، القدس، ص135.
(6) هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص26.

**في النحو العبري الذي نظمه في قصيدة عبرية صاغها في بحر الرجز العربي، تتألَّف من أربعمائة بيت، وهو يتحسَّرُ فيها على انصرافِ إخوانه في الدين من أهل سرقسطة عن لغتهم المقدَّسة، ويُسميهم "الجماعة العمياء"[1].**

**ويهودا هاليفي صاحب الكتاب المشهور كوزاري، الذي خَصَّصَ جزءاً منه لعلم الصوت وبُنيةِ النحو العبري[2].**

**وموسى بن جقطلة الذي ترجم كتب حيوج إلى اللغة العبرية، وألّف كتاب "المذكر والمؤنث"، وعاش حياته في سرقسطة بعد أن ارتحل عن قرطبة على إثر الاضطرابات الأهلية فيها.**

**ويهودا بن بلعام الذي ولد في طليطلة واستقرَّ في إشبيلية وتوفي سنة (494هـ=1100م)، وكتب عدداً من المقالات في النحو واللغة بعنوان: "ما تشابه لفظه واختلفت معناه"، و"كتاب الحروف"، وكتاب في الحركات والنبرات يُعرَف باسم: "المرشد لقراء الكتاب المقدس".**

**ومن هؤلاء النحويين أيضاً إسحاق بن يشوش الطليطلي الذي ألَّف كتاباً في التصاريف، وداود بن هاجر الغرناطي الذي ألَّف كتاباً في الحركات. وليفي بن التبان السرقسطي صاحب كتاب "المفتاح". وابن بارون صاحب كتاب "الموازنة" الذي يبينُ العلاقة بين اللغتين العربية والعبرية[3]. وموسى بن يعقوب بن عزرا الذي ولد في غرناطة بين السنوات (447هـ-459هـ=1055-1060م) وسط عائلة غنية، وتلقى تعليماً متنوعاً، وتضلَّع من اللغة العربية وآدابها، ثمّ تغّيرت حاله فاعتزل الناس، وابتعد حتى عن أبنائه، وفي النهاية غادر غرناطة سنة (488هـ=1095م) نحو أسبانيا النصرانية، وظلَّ فيها يعيش حياة الوحدة والضياع والفقر إلى أن توفي في العقد الرابع من القرن الثاني عشر الميلادي[4].**

**وكان كتابه "المحاضرة والمذاكرة" أهم أثر نحويّ تركه ابن عزرا، وقد تحدَّث عنه أحد المهتمين بالدراسات اليهودية المعاصرة بقوله: "كتابٌ فريدٌ من نوعه، ولم يعرف تاريخ التأليف العبري مثيلاً له ... وقد اهتمَّ بالشِّعر العبري، إلاّ أنه اتخذ له الثقافة العربية أساساً لهذا التأليف، إذ تناول الشعر والأدب عامَّة، سواء العربي أو العبري، وكان للتاريخ فيه حظ كبير أيضاً، وهو غنيٌّ بتراجم الأدباء والكتاب، ولم يترك موضوعاً من مواضيع اللغة والنحو والفلسفة والأخلاق إلاَّ واهتمَّ به[5].**

**ولما كانت المؤلفات النحوية واللغوية العبرية التي كتبها علماء اليهود في الأندلس قد كتبت معظمها باللغة العربية، فإنها لم تؤثر التأثير المطلوب في البلدان الأخرى التي لا تعرف العربية. ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى التفكير في ترجمة هذه المؤلفات إلى اللغات الأخرى وخاصة إلى اللغة العبرية[6].**

**وممّن كان لهم الفضل في نقلِ هذا التراث الفكري اليهودي، أبراهام بن عزرا الذي نشأ في طليطلة (486-563هـ=1093-1167م)، وكان منذ حداثته متعطشاً إلى العلم، فأخذ يتجوّلُ في البلاد، وبذلك كان الواسطة بين الأندلس**

---

(1) بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص493-494.
ينظر: NEHMAN, THE JEWS IN SPAIN, VOL.2, P.98.
(2) هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص14.
(3) هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص14-15.
(4) شحلان، أحمد، "من الأدب العربي-العبري، أبو هارون موسى بن يعقوب بن عزرا وكتابه المحاضرة والمذكرة"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، (الرباط، جامعة محمد الخامس، العدد 10، سنة 1984م)، ص64.
(5) م. ن، ص69، وعن محتوى كتاب " المحاضرة والمذاكرة " ينظر: بيريز، هنري، اللُّغةُ العربية وسكان الأندلس في القرون الوسطى، (الجزائر، 1959م)، ص15.
(6) هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص15.

**والممالك النصرانيةِ الأخرى في نقل المعرفة، واستقرَّ مُدَّةُ من الزَّمنِ في روما، وهناك بدأ نشاطه الفكري في التفسير والنحو والشعر. ويُعَدُّ أبراهام بن عزرا أوّل من نقل المعارف النحوية التي نضجت في الأندلس إلى أوربا[1].**

**وقد تمَّ نقلُ هذه المعارف بواسطة مؤلّفاتٍ لغويةٍ عِدَّة ألَّفها باللُّغةِ العبرية التي يفهمها المثقفون اليهود هناك، واعتمد في تلك المؤلَّفات اعتماداً كبيراً على كتابات يهود الأندلس المؤلَّفة باللُّغةِ العربية. وقد حذا تلاميذ أبراهام حذوه في نقل هذا التراث، ومن أولئك التلاميذ سليمان بن برحون[2].**

**وكان لأبراهام بن عزرا ابن يُدعى إسحاق، ورث عن أبيه حبَّ التجول والترحال، وقد ولد في الأندلس، ورحل إلى مصر بعد دخول الموحدين إلى الأندلس، ومن مصر هاجر إلى العراق، حيث نزل ضيفاً على العالم اليهودي الشهير نتانئيل بن علي المعروف بأبي البركة هبة الله. وفي بغداد ترجم إسحاق إلى العربية شرح نتانئيل لسفر الجامعة حوالي سنة (538هـ=1143م)، وفي هذه السنة اعتنق نتانئيل الإسلام، وتبعه إسحاق وأعلن إسلامه. ومات إسحاق مسلماً قبل وفاة والده أبرهام بن عزرا، وسمع الوالد نبأ وفاة ولده بعد ثلاث سنوات، فرثاه بقصيدةٍ مطلعها:**

**يا أبا الولد اقترب وارثه**

**لأنَّ اللـه أبعده عنك[3]**

**كما أسهم في نقل الفكر اليهودي اللّغوي وغيره، العلماء اليهود الذين أصبحوا يعيشون تحت الحكم الأسباني بعد أن سقطت مدنهم في أيدي القوات الأسبانية، وأولئك الذين هاجروا إلى الأندلس، أمثال العلماء من أفراد أسرتي "قمحي"، و "تبوّن" الذين نزحوا عن الأندلس، واستقروا في فرنسا، حيث أقام أولئك العلماء في تلك البلدان مراكز جديدة للفكر اليهودي، وصاروا أساتذة يدرّسون الطلاّب اليهود وغيرهم من الأوربيين كلَّ ما تعلَّموه في الأندلس على أيدي أساتذتهم المسلمين. وكلَّ ما توصَّلوا إليه من علومٍ في ظلِّ البيئةِ العلمية والحرية الفكرية، التي وفَّرتها للجميع دولة الإسلامِ في الأندلس[4].**

**أمَّا في المجال الشعري، فقد نهض يهود الأندلس بالشَّعر العبري، ونقلوه إلى مستوى لم يعرفه الأدب العبري من قبل، فبعد أنْ كان مقتصراً على المجال الديني، وخالياً من الوزن أو القافية صارَ موزوناً متعدّدَ الأغراض[5]. وقد قلّد الشعراء اليهود وهم يكتبون أشعارهم الشعر العربي الذي سمعوه من المسلمين، وقرأوه في كتبهم، فأحبُّوه وحفظوه واستشهدوا به في مؤلفاتهم، وقرضه بعضهم فأنتجوا أجمل الأشعار.**

**يقول يهوذا الحريزي في كتابه "تحكموني": "اعلموا أنَّ الشِّعر الرائع الذي يمتلئ بالنفائس والروائع هو من ممتلكات العرب في البداية، واستطاعوا رأبَ كل صدع فيه، وأنْ يزنوه بموازين عادلة، وأن يضعوه في مكانته، بل وأثروا به**

---

(1) م. ن، ص15، جلال، الأدب العبري الحديث، ص139؛
DUBONV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.743-744.

(2) هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص15-16.

(3) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص85؛ DOUNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.743-744.

(4) ينظر: هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص17.

(5) فرج، القدس، ص137 ؛ ينظر: هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص75-86.

**على غيرهم، فنجدهم قد بنوا أساقفه، وشذبوا قصوره، وأقاموا مصاريعه، ولهم اليد الطولى بين شعراء الدنيا"[1]. ويقول أيضاً: "أقام العديدُ من اليهود بعد النفي، بين العرب في أقطارهم، وسلكوا الحديث بلغتهم، والنُّطق بنطقهم، وفي اختلاطهم بهم تعلّموا عنهم صنعه الشِّعر، فعندما كان يسكن آباؤنا الأرض المقدَّسة لم يعرفوا الشِّعرَ الموزون باللُّغةِ العبرية، فلا يوجد في أسفار أيوب والأمثال والمزامير إلاَّ بعض الفقرات القصيرة، تشبه أبيات الشعر، ولكنها بلا قافية أو وزن[2].**

**وقد أوردت المصادر التاريخية والأدبية الإسلامية نماذج من الأشعار التي قرضها الشعراء اليهود في الأندلس، نذكرُ بعضاً منها، حتى يتبين أثَر الأدب العربي والثقافة الإسلامية في فكرِ وذوقِ وفنِّ هؤلاء الشعراء.**

**يقول نسيم الإسرائيلي:**

**يا ليتني كنتُ طيراً — أطيرُ حتى أراكـا**

**بمن تَبدّلتَ غيرى — أولم تحلْ عن هواكا[3].**

**ويقول إسحاق بن شمعون اليهودي القرطبي:**

**قُمْ هاتِ كأسَكَ فالنعيمُ قد اتَّسقْ — والعودُ عن داعي المَسرَّةِ قد نُطَقْ**

**ولديك مَنْ حثّ الكؤوسَ أزاهراً — في الخزّ يْمرَحُ كالأراكةِ في الوَرَقْ**

**ويقول إسماعيل بن نغدله:**

**ياغائباً عن ناظري لم يغب — عن خاطري رفقاً على الصَّبِّ**

**فماله في البعد من سلوهٍ — ومالـه سؤل سوى القربِ[4]**

**وكان صاحب أروع شعرٍ كتبه يهود الأندلس هو أبو إسحاق إبراهيم بن سهل الإسرائيلي الإشبيلي (ت: 649هـ=1251م)، الذي حار أهل زمانه في حقيقةِ ديانته[5]. والذي تجعلنا أشعاره المتناقضة غير قادرين على الجزم بحقيقة العقيدة التي يخفيها صدر هذا الرجل. فقد كتب ابن سهل جُلَّ أشعاره في فتى يهودي اسمه موسى كان يحضر الدروس في حلقاتِ الأساتذةِ المسلمين، حيث رآه ابن سهلٍ فعشقة[6]. ويعتقدُ أنَّ ابن سهل قد أحبَّ في ذلك الفتى يهوديته، واتخذه رمزاً لليهوديةِ التي يُخفيها في صدره ويحنَّ إليها، وقد ساعده على ذلك أنَّ اسم الفتى على اسم النبيّ موسى عليه السلام[7].**

**ويستدلُّ أصحاب هذا الرأي على صِحَّةِ رأيهم بكثيرٍ من أشعاره في ذلك الفتى مثل قوله:**

**أموسى ولم أهجرك والله إنـمّا — هجرتُ المُنى واللّبَّ والأنس والصَّبرا**

**تركتك لا نقضاً لعهدي بل أرى — حياتي ذنـباً بعد بُعْدِكَ أو غدْرا**

---

[1] فرج، القدس، ص146.
[2] م.ن، ص147.
[3] م. ن، م3، ص522.
[4] ابن سعيد، الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، ص114. ترجمة رقم: 426.
[5] المقري، نفح الطيب، م3، ص522-523.
[6] ابن سعيد الأندلسي، اختصار القدح المعلى، ص78.
[7] ابن سهل الإسرائيلي، أبو إسحاق إبراهيم، ديوان ابن سهل، تحقيق وشرح: بطرس البستاني، (بيروت، مكتبة صادر، 1953م)، ص138؛ الجالي، أبو نواس الأندلس، ص85-86.

قنعتُ على رغمي بذكرِكَ وحـده | أدير عليه الخـمر والأدمـع الحُمْرا[1]
وقوله:
ويعذلني العـواذِلَ فيـه جـهلاً | عزيـزٌ ما يـقـولُ العـاذلانِ
فقالوا: عبد موسى، قلت: حقاً | فقالوا: كيف ذا ؟ قلت اشتراني
فقالوا: هل رضيتَ تكون عبداً | لقد عرَّضـتَ نفسـك للـهـوانِ
فقلت: نعم أنـا عبدٌ ذلـيـلٌ | لمنْ أهوى فخلّـوني وشـأنـي[2].

وقوله:
مـا لموسـى قد خـرَّ لله لمـا | فاضَ نورُ غشاه ضَوْءُ سناه
وأنا قد صُعِقتُ من نورِ موسى | لا أطيقُ الوقوف حين أراه[3].

وقوله:
جرى القضاءُ بأنْ أشقى عليك وقد | أوتيتَ سؤلك يا موسى على قَدَرِ[4].

وقوله:
صُعِقتُ وقد ناجيتُ موسى بخاطري | وأصبح طور الصَّبر من هجره دكًّا[5].

كما يستشهدون على تظاهره بالإسلام من شعره الذي يدلّ على مجونه وعبثه، إذ استخدم الآيات القرآنية الكريمة للتعبير عن معانٍ إباحيَّةَ. كقوله:
لقد كنتُ أرجو أن تكون مواصلي | فأسقيتني بالبُعْدِ فاتحـة الرَّعْدِ.
فبالله برِّد ما بقلبـي من الجـوى | بفاتحةِ الأعرافِ من ريقِكَ الشَّهْدِ[6].

وهم يستدلّون أيضاً برواية المقري التي يقول فيها: "ورأيتُ في بعض كتب الأدب بالمغرب أنه اجتمع جماعة مع ابن سهل في مجلس أنس، فسألوه لّما أخذت منه الرَّاح عن إسلامه. هل هو في الظاهر والباطن أم لا ؟ فأجابهم بقوله: للناس ما ظهر ولله ما استتر[7]".

وبشعره في الخمر الذي يقول فيه:
فو الله ما في الأرض مجلس راحة | بغير حلى الرَّاحِ التي سلَبت صبري

---

[1] الجالي، أبو نواس الأندلس، ص85-86.
[2] م. ن، ص79-80.
[3] المقري، نفح الطيب، م4، ص129.
[4] الجالي، أبو نواس الأندلس، ص79.
[5] ابن سعيد الأندلسي، اختصار القدح المعلى، ص83؛ ابن سهل الإسرائيلي، ديوان ابن سهل، ص120.
[6] المقري، نفح الطيب، م3، ص524.
فاتحة سورة الرعد هي من قوله تعالى: "المر"، وهي حروف جمعها فكوَّن منها كلمة "المُرّ"، ينظر: سورة الرعد آية: 1، وفاتحة سورة الأعراف هي قوله تعالى: "المص"، وقد جمع حروفها فكوَّن كلمة "المصَّ"، ينظر: سورة الأعراف، آية: 1. وهي معانٍ إباحية.
[7] المقري، نفح الطيب، م3، ص523؛ ينظر: ابن سعيد الأندلسي، اختصار القدح المعلَّى في التاريخ المحلى، ص73-74؛ ينظر: الراعي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن إسماعيل، الممتع السهل في ترجمة وشعر ابن سهل تحقيق وتعليق: محمد قوبعة، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 19، سنة 1980م، ص41.

**سـآلفها إلـفَ العتيـق كـتابه ... ولا أشتهي ورداً سواها لدى الحشرِ[1].**

**وهناك من يرى أنَّ ابن سهل قد أسَلَمَ بالفعِل، لكنَّه لم يكن متديناً ملتزماً، شأنه في ذلك شأن العديد من المسلمين في عصره[2].**

**فو الله ما في الأرض مجلس راحة ... بغير حلى الرَّاحِ التي سلَبت صبري**

**وهم يستدلُّون أيضاً على صحة رأيهم بأشعاره. مثل قوله:**

**تسلّيتُ عن موسى بحُبّ مُحمَّدٍ ... هُديتُ ولولا الله ما كُنتُ أهتدي**

**وما عن قِليً قد كان ذاك وإنّما ... شريعة موسى عُطلّت بمحمَّدِ[3].**

**وكذلك يستشهدون بقصيدته الطويلة[4] التي يمدح فيها النبيَّ محمد صلى الله عليه وسلَّم، ويقول في مطلعها:**

**جَعَلَ المهيمن حبَّ أحمد شيمة**

**وأتى به في المرسلين كريمة**

**فغدا هواه على القلوبِ تميمة**

**ه لهديهم تتميما ... صلّوا عليه وسلّموا تسليماً[5].**

**وبالأبيات الكثيرة التي توضح ثقافته الإسلامية كقوله:**

**لله نهرُ ما رأيتُ جماله ... إلاَّ ذكرتُ لديه نهر الكوثرِ[6].**

**وأيضاً بقصيدته التي يستحثّ فيها المسلمين على الدِّفاع عن إشبيلية عندما اشتدَّ عليها حصار أعدائهم الأسبان سنة (645هـ=1247م)، ويقول فيها:**

**يا معشر العربِ الذين توارثوا ... شِيمَ الحَميَّةِ كابراً عن كابرِ**

**إنَّ الإله قد اشترى أرواحكم ... ويهنكمو ثواب المشتري**

**أنتم أحق بنصرِ دينِ نبيّكم ... وبكم تَمهَّدَ في قديمِ الأعصرِ[7]**

**وقوله:**

**يسائلني من أيِّ دين مداعباً ... وَشَمل اعتقادي في هواهُ مُبدَّدُ**

**فؤادي حنيفيّ، ولكنَّ مقلتي ... مجوسية من خدّه النّار تُعْبدُ[8]**

**ولم يقبل أحد المشككين في إسلام ابن سهل حجج المقتنعين بإسلامه فقال: "ولا يكفي أن نستدلَّ على إسلام ابن سهل بقصيدته الحجازية التي يصف فيها ركب الحجيج وهم ذاهبون للحج، لا سيَّما وأنَّه لم يصدر في نظمها عن دافعٍ ذاتي،**

---

(1) ينظر: ابن سعيد الأندلسي، اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلَّى، ص74.

(2) ينظر: الجالي، ابو نواس الأندلس، ابن سهل الإسرائيلي، ص38-39.

(3) المقري، نفح الطيب، م3، ص523.

(4) المقري، نفح الطيب، م7، ص445-453.

(5) م. ن، م7، ص445.

(6) الجالي، أبو نواس الأندلسي، ص14.

(7) ابن سهل الإسرائيلي، ديوان ابن سهل، ص8؛ الجالي، أبو نواس الأندلس، ابن سهل الإسرائيلي، ص113.

(8) المقري، نفح الطيب، م3، ص522-523.

**وإنما نظمها بتكليف من ابن خلاص(*) أحد ممدوحيه، كما لا نستطيعُ أنْ ندلِّل على إسلامه بشيوع الثقافة الدينية في شعره، لأنَّ يهود الأندلس كانوا يخالطون المسلمين في مجال العلم، وكانوا يتوفَّرون على دراسة العربية، وحفظ القرآن، وإن لم ينتحلوا الإسلام ديناً(1).**

**مات ابن سهل غريقاً في البحر في سنِّ الأربعين، فقيل: عادَ الدُّرُّ إلى وطنه(2). وعن موته يقول المقري: "وقد روينا أنه مات مسلماً غريقاً في البحر فإن كان حقَّاً فالله تعالى رزقه الإسلام في آخر عمره والشهادة"(3).**

**إنَّ الحكم في مثلِ هذه القضايا صَعْبٌ وخطير، لأنَّ الله وحده هو الذي يعلم ما تكنّه صدور عباده. لكننا نقول: إنَّ الإنسان في العادة لا يترك دينه ودين آبائه وأجداده ويعتنقُ ديناً آخر، إلاَّ إذا كان مُحباً لذلك الدين الجديد، وراغباً في التزام أحكامه. أماَّ إذا انتقل إليه ولم يلتزم به، بل كان يُظهِرُ استهتاره به، فإنَّ ذلك يعني أنَّ دخوله لذلك الدِّين الجديد لم يكن إلاَّ تظاهراً لتحقيق غاية في نفسه. والذي يُفهم من سيرةِ ابن سهل أنه كان أبعد ما يكون عن الالتزام بالإسلام. ولقد رأينا كثيراً من اليهود عبر التاريخ يظهرون الإسلام، فيطمئنَّ لهم المسلمون، ويعاملونهم على ظاهرهم، فيقومون بالخفاء بتوجيه أعنفِ الضربات للإسلام والمسلمين(4). ولذلك لابدَّ من التريث والحذر والتدقيق قبل إصدار الحكم في قضيَّة تتعلق بإسلام يهودي.**

**أما بخصوص الشعر العبري، فقد كان مناحيم بن ساروق من أوائل المبدعين فيه، وأفضل شعراء عصره، وكان على حدّ تعبيره "يُربِكُ كلَّ فصيح، ويلجم كلَّ شاعِر"(5)، وقد كتب قصائد عِدَّة في مدح حسداي بن شبروط فكافأه حسداي بسخاء ولكن لم تدم المودَّة بينهما طويلاً فقد غضب عليه حسداي وطرده من قرطبة، ولم يفقد الشّاعر الأمل في استعطاف قلب ذلك الثري، فظلَّ يكتب إليه حتى عفا عنه. فلما سمع مناحيم بالعفو، هرع إلى قصر حسداي، يقرأ عليه قصائد مديحٍ قرضها لهذه المناسبة. ولكن لم يمضِ وقت طويل حتى غضب عليه مَرَّة ثانية. ويبدو أنَّ انتقادات مناحيم التي وجهها إلى التلمود والربانيين، واتهام بعض اليهود له أنه يعتنق مذهب القرائين كانت سبباً في إبعاده، ولم يطرده حسداي هذه المرَّة من قرطبة، بل أرسل إليه أنصاره الذين كبّلوه بالحديد وساموه سوء العذاب، وزجّوه في غياهب سجن قرطبة.**

**وأرسل الشاعر لحسداي رسالة باللُّغة العبرية في صورةِ قصيدة طويلة تتكون من 426 فقرة. ومن هذه القصيدة:**

**عظامي تبكي**
**هذه على تلك**
**أوصالي تئن**

---

(*) هو قائد سبته أبا على حسين بن أحمد بن خلاص الذي مدحه ابن سهل.
الكواتي، اليهود في المغرب، ص166.

(1) عيسى، فوزي سعد، الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الإسكندرية، ط1، 1979م)، ص [استكمال].

(2) المقري، نفح الطيب، م3، ص522-523.

(3) م. ن، م3، ص525.

(4) ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، جـ4، ص191، 283، 340-396؛ الخضري، محمد فريد بك، تاريخ الأمم الإسلامية، جـ1، (المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ط8، 1382هـ)، ص21؛ الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، مكائد يهودية، (دار القلم، ط1، 1394هـ-1974م)، ص167-168.

(5) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص24.
للمزيد من التفاصيل عن حياة مناحيم بن ساروق وشعره وعلاقته بحسداي بن شبروط.
ينظر: ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.244-251.

**بعضها على بعض**

**وأنا أنوح[1]**

**أما دوناش بن لبرط، فهو صاحب الانقلاب الكبير في الشعر العبري، حيث دعا من مدينة قرطبة الشعراء اليهود أن يزنوا أشعارهم طبقاً للبحور العربية فتعرَّض لنقد عنيفٍ من بعض الشعراء اليهود أمثال إسحاق بن قبرون، تلميذ مناحيم بن ساروق الذي كتب قصيدة سخر فيها من دوناش، وأرسلها إلى حسداي بن شبروط، قائلاً فيها:**

**ها هو ابن لبرط كتب باطلاً**

**وظنَّ أنه نجح، وأصلح القول المأثور**

**لكنه أتلف اللسان المقدَّس**

**بوزنه العبرية بموازين أجنبية[2]**

**كما أحدث ابن لبرط تطويراً آخر على الشعر العبري عندما أضاف إليه أغراضاً جديدة كالإخوانيات والخمريات والوصف والهجاء.**

**ولقد أعجب كثيرٌ من شعراء اليهود بالتجديد الذي أدخله دوناش في الشعر العبري واقتفوا أثره، كما أثنى عليه اليهود المعاصرون.**

**يقول آشتور: "لقد حفر دوناش بن لبرط اسمه بحروفٍ من ذهب في سجلات الشعر العبري بسبب ابتكاره الكبير، فقد أدخل التفعيلة العربية إلى الشعر العبري... وكان إدخال البحور العربية إلى ذلك الشعر ذا أهميةٍ بالغةٍ بالفعل، إذا أدَّى إلى تغيرَّه تغيراً كليّاً، فصار أكثر سلامة وأفضل صقلاً، وأسهل للحفظ والتداول. لكنَّ دوناش لم يتعلَّم من العرب البحور والأوزان فحسب، بل تعلَّم أيضاً بنية الشعر، مثل استخدام المقدَّمة والانتقال والصورة البلاغية... وهو لم يُقلِّد شكل الشعر العربي فقط، بل قلَّد محتواه أيضاً، فأدخل إلى الشعر العبري مواضيع العرب. وكانت إحدى الموضوعات التي أُغرم بها الشعراء العرب بشكل خاص هي مدح الحكمة، وقد كتب دوناش أشعاراً حول هذا الأمر. كما كتب أشعاراً لمدح رعاة العلم تماشياً مع التقليد العربي"[3].**

**ومن شعره في مجال الحكمة، قوله في قصيدة وجهها إلى حسداي بن شبروط:**

**قل يا فؤادي الحكمة**

**والمعرفة والإدراك**

**احرص على مسالك الفطنة**

**وعلى مجالس الأدب**

**وابحث عن الحق**

---

(1) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص25-26.

(2) م. ن، ص30-31.

(3) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.253-254.

**ولا تكن عنيداً**

**لئلاَّ تُخدع[1]**

**كما تكلَّم عن مجالس النبيذ، لكنَّه أظهر أنَّه ينهى عنها، خوفاً من أن يلقى معارضة من بعض المحافظين الذين لم يطيقوا أن يصل التطوّر بالشعر العبري لدرجة أن يصف الخمر ومجالسه بعد أن كان دينياً فقط. ففي إحدى قصائده يتخيل صديقاً يدعوه إلى شرب الخمر. ويصف له مجالسها فيقول:**

**لسوف نشرب بين أجماتِ الزهور المسوَّرة بالورود**

**ونهجر الأحزان بكلِّ أنواعِ الحبور**

**ونشارك بالمتعةِ والشراب من الأقداح[2].**

**ولم يهمل يهود الأندلس الشعر الديني "بيوطيم"، ومن الذين كتبوا في هذا الشعر مستخدماً البحور العربية إسحاق بن مرشاءول وهو من علماء أليسانه، وتلميذ مروان بن جناح. ومن أشهر قصائده الدينية تلك التي يبدأها بقوله:**

**إلهي لا تحاسبني حسب خطاياي**

**ولا تَكِلْ لي حسب أعمالي**

**اشملني بفضلك لأحيا**

**يارب لا تعاقبني على خطاياي[3]**

**لقد كان ابن مرشاءول ذو قابليةٍ فذَّة كشاعر، وقد كتب أيضاً شعراً دنيوياً، وتَعْرِضُ أشعاره إلى أفكارٍ جديدةٍ، لكنها تتميَّزُ بموهبة التعبير ولغةٍ جميلة وواضحة، وقد كان على معرفةٍ جيدة بكلِّ مكوِّنات فنّ الشعر، بحيث أنه صار في النهاية علامة بارزه في الشعر العبري في الأندلس، وفي ترنيمته (من ذا الذي يشبهك)، ينتهي كلُّ مقطعٍ بآيةٍ من النصوص المقدسة، التي تكون الكلمة الأخيرة فيها اسم من أسماء الله تعالى[4].**

**إنَّ خصوبة الشعر العربي، وأثره القوي الذي استسلم له ابن مرشاءول، والذي وجد تعبيره الأول في القبول بالشكل العربي الموزون، يمكن أن يُرى بسهولة في الشعر الدنيوي، الخاص بإسحاق بن مرشاءول، فقد كان يؤلف القصائد في مناسباتٍ مختلفة، ويرسلها إلى الأشخاص المهمين، وإلى أصدقائه في مدن الأندلس، وتظهر في تلك القصائد أفكاراً وصوراً معروفة في الشعر العربي، مثل: "سر الحب"، "والافتتان" الذي يثور في داخل العاشق، والتَّوق إلى صحبة الأصدقاء. وقد كتب شعراً عن جمال الشباب، وذاك موضوع جديد على الشِّعر العبري. وبالتأكيد فإن هذا الموضوع كان مألوفاً في الشعر العربي منذ وقتٍ طويل، وفي الأجيال التالية له صار مألوفاً كذلك في الشعر العبري. وهكذا فإن ابن مرشاءول كان رائداً. وقد أدرك معاصروه ذلك فحاز على شهرةٍ كبيرةٍ كشاعر[5].**

---

(1) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص28-29.
(2) ATHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.255.
(3) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص34-35.
(4) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.395.
(5) IBID, VOL.1, P.395-396.

**كما ظهر في أواخر القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي لأوَّل مرَّة في تاريخ الأدب العبري أدبُ الكدية، احترفه الشاعر إسحاق بن خلفون، فكان يتنقلُ بين مُدن الأندلس مادحاً من يغدق عليه، وهاجياً من يمسك عنه، ويذكر في إحدى قصائده كيف كافأه أحد الأغنياء بقطعة جبن على مديحه له[1].**

**وكانت إحدى الموضوعات المتكرّرة في أشعار ابن خلفون هي العذاب الحاصل من فراق الأصدقاء، وهو يتفوَّق في هذه الأشعار بشكلٍ خاص. يقول في إحدى قصائده:**

**وُ**

**وأتنهدً وأبكي بحرقة [2].**

**وكان لابن خلفون دوراً مهماً في تطوير الشعر العبري في الأندلس، فبعد أن أدخل دوناش الأوزان العربية إلى الشعر العبري، تبنى الشعراء اليهود في ختام القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي أغراض الشعر العربي، فتواصل التطور في الشعر العبري، وكان ابن خلفون من أبرز الشعراء في عصره الذين ساروا في هذا الطريق. إذ أن معظم قصائده كانت موزونة، وتتناول أغراضاً مختلفة. وإضافة لما سبق فقد تناول ابن خلدون في قصائده الغزل على طريقة الشعراء العرب[3].**

**وقد ظهر تعدد الأغراض في الشعر العبري واضحاً في عصر الطوائف على يدي إسماعيل بن نغدله الذي يرجع له الفضل في تطعيم الشعر العبري بفنونٍ جديدة اقتبسها من الأدب العربي، كالشِّعر القصصي والخمريات والإخوانيات والغزل ووصف المعارك ووصف الطبيعةِ والرثاء. وتُعدُّ خمريات ابن نغدله من أحسن ما كُتِبَ في العبرية في هذا الفنّ من الشِّعر، وقد كتب فيه نحو تسع عشرة قطعة[4].**

**وكتب الشاعر والنَّاقد الشهير الحريزي تقييماً لقصائد إسماعيل بن نغدله، يقول فيه: "إنَّ قصائده فخمة ومهمة، ومحتواها جديد وجريئ، ولكنَّ الرُّباعيات عميقة وصعبة إلى درجة أنها تحتاج إلى تفسير"[5].**

**ومن شعره في الوصف قوله:**

**انظر إلى الياسمين، أخضرُ ساقه كالزُّمُرُّد**

**وأوراقه وفروعه**

**وزهره كالبلور أبيض[6].**

**وفي وصفه لإحدى المعارك التي شارك فيها إلى جانب الدولة الزيرية في غرناطة، يقول:**

**والخيل تجري رواحاً وغدوّا.**

**كأفاعٍ أطلقت من جحور**

---

(1) ينظر: عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص37-38.

(2) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.397-398.

(3) IBID, VOL.1, P.398.

(4) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص45.

(5) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.737.

(6) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص46.

**والرَّماح التي ترمى**

**كالبرق يملأ بريقها الفضاء[1]**

**وفي وسط هذه المعارك يتضرَّع الشاعر إلى ربَّه فيقول:**

**انظر اليوم محنتي**

**واسمع واقبل صلواتي**

**تذكرّ حسنة لعبدك**

**ولا تحزُنّي في محنتي[2]**

**لقد ظهر أعظم شعراء النّهَضة الأدبية لليهودِ في الأندلس بُعيدَ عصر إسماعيل بن نغدله، وفي جزء من عصره. وقد علَّق إبراهيم بن داود مؤرَّخ ذلك العصر على التطوُّر التدريجي للأدب قائلاً: "في أيام الوجيه حسداي بدأ الشعراء يزقزقون، وفي عصر إسماعيل راحوا يغرِّدون بصوتٍ عال"[3].**

**وكان سليمان بن جابيرول حوالي (411-463هـ=1020-1070م) أحد أولئك الشعراء الذين علت أصواتهم تغرَّد بشعر جميل. وقد ولد هذا الشاعر في مالقة، من عائلةٍ يهودية هاجرت من قرطبة، ومات أبوه وهو صبَّي، فعانى من الفقر في مسقطِ رأسه، مما اضطّره للخروج إلى سرقسطة. وكان ابن جابيرول عليلاً، انتابته الأمراض صغيراً. ولم تثبّط ظروفه الصعبة من هِمَّته في طلب المعرفة، وقرض الشعر العبري في مقتبل عمره. وكان بالرغم من فقره المدقع معتزاً بنفسه[4]، كما هو واضح في أوَّلِ أبياتِ قرضها وهو في سنَّ السادسة عشرة. يقول فيها:**

**أنا الرئيس والشَّعر عبد لي**

**أنا ربابة للموسيقيين والشعراء**

**وسنون حياتي ست عشرة، ولكنني**

**أحمل بين جنباتي قلب ابن الثمانين[5].**

**وهو يصوَّر حالته البائسة في قصيدته المسّماة بالنفس الجريحة، فيقول:**

**وهمومي تُنبتُ أشعاري**

**وآلامي تطاردُ أحزاني**

**ألهو وقلبي مُنفطر**

**ألماً لحياتي التي تذبل[6].**

---

(1) م. ن، ص47.

(2) م. ن، ص47.

(3) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.637.

(4) IBID, VOL.2, P.638؛ عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص52؛ هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص86؛ ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.29-30.

(5) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص52-53؛ DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.639.

(6) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص53؛ DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.638.

**ويشنُّ هجوماً عنيفاً على يهود سرقسطة، قبل أن يغادرها، في قصيدة بعنوان: "جَفَّت حنجرتي من المناداة". يقول فيها:**

**إنّهم شعب احتقر أجداده**

**وهم أحقر من أن يكونوا كلاباً تحرسُ خرافي**

**فوجوههم لا تحمرُّ خجلاً[1]**

**لقد نال ابن جابيرول إعجاب الشعراء والنُّقاد، فقال فيه شاعر الجيل التالي موسى بن عزرا: إنه "فارس الأسلوب وسيِّد الأشعار"[2]. واعترف النَّاقِد اللاحق الحريزي بأنَّ السَّليمان الجديد يستحقُّ تاج الشعر العبري: "لقد عمّده الرَّبُّ كملِكٍ في مملكة الشّعر، فهو الذي صنع نشيد أناشيد سليمان. وكان كل أولئك الذين تبعوه قد تبنوا ذوقه، وكانت روح موسى ترفرف فوقهم"[3].**

**وفي أوائل القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي برز شاعر سبق أن ذكرنا جهوده في مجال النحو العبري وهو موسى بن عزرا، الذي تميَّزَ بولعه بالمحسّنات البديعية وخاصة الجناس، إذ نسج على منوالِ الجناس العربي أبياتاً عبرية أنهى كلَّ مجموعةٍ منها بكلمةٍ واحدة، يختلفُ معناها في كلِّ بيت، وجمع هذه الأبيات في كتابٍ أهداه إلى صديقٍ له يُدعى إبراهيم بن مهاجر، ويتضمن هذا الكتاب 1210 أبيات تتناول موضوعاتٍ مختلفة كالخمريات والحب والوصف. وقد قدَّم بنظمه هذه الأبيات دليلاً قاطعاً على تمكنه وتعمقهِ في ألفاظ اللغة العبرية ومعانيها[4].**

**وثمة قصيدة من قصائده مشهورة بثراءِ ألوانها، يقول فيها:**

**لقد طرحت الحديقة أنسجة مُلَوَّنة**

**ثوباً من التطريز الأخضر**

**لكن الوردة الملكة على العرش العالي تقدَّمت الجميع.**

**واخترقت سور الأوراق واستبدلت ملابس السجن**

**وإنّ كل من لا يشرب نخبها يرتكب إثماً كبيراً[5].**

**وفي شبابه كان الشاعر ما يزال يحلم بالوجه الجميل، ودنان الخمر، وبحديقة تمتلئ بتغريدِ الطيور، وبجدولٍ رقراق. لكنَّ أحلامه هذه قد انتهت بسبب حُبِّه الفاشل. فقد أحبَّ الشاعر ابنة أخيه، وكان متشوَّقاً للزواج منها وقد أحّبتهُ الفتاةُ أيضاً. لكنَّ والدها اعترض، وزوجها من رجلٍ آخر. وقد ملأ هذا روح ابن عزرا بالحزن لمدَّة طويلة. وغادر غرناطة وصار متشّرداً. وزادت أحزانه عندما تلقى نبأ وفاة محبوبته أثناء الولادة.**

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.41-42.

(2) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.639.

(3) IBID, VOL.2, P.639.

(4) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص68. ينظر: HAIM BEINRT, ENCYCLOPEDIA JUDACA, VOL.11, P.550.

(5) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.736-737.

**وصارت قصائده محصورة بالحديث عن الحياة والموت، وفي المواضيع الدينية[1]. وفي إحدى قصائده عن الحياة والموت يقول:**

**فليذكر الإنسان في حياته**

**أنه يسير في طريق الموت**

**يسافر كل يوم رحلة بطيئة[2].**

**وكتب مئاتٍ عِدَّة من الأدعية والترانيم الدينية، التي تردد في المناسبات الدينية اليهودية. ومن أجل ذلك لُقِّب موسى بـ (HASALAKH)، أي سيد الصلوات المتمكِّن[3].**

**ومن شعراء القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي أيضاً يهوذا بن صاموئيل اللاوي (468-536هـ=1075-1141م) من أليسانة[4]. ويعتقد كثير من اليهود إلى الآن أن يهوذا اللاوي أحسن من نظم شعراً بالعبرية. وقد ترك ثروة أدبيةً في المجال الديني والأدبي والفلسفي. ومن شعره الديني بيتان سّماهما عبد الله. يقول فيهما:**

**عبيدُ الدنيا عبيدُ لعبيد**

**وإنما الحرُّ هو عبد الله**

**حين يسعى كلُّ امرئ إلى هوايته**

**تقول نفسي هوايتي تسبيحُ الله[5].**

**وقد قرض قصائد لترتَّل في المناسبات الدينية، ومن هذه القصائد تلك التي مطلعها:**

**إلهي بمن أُمثِّلُك؟**

**وليس هناك من يُعادلك**

**بمن أشَبِّهُك**

**وكل صورة من عملك [6]**

**وقد نظم يهوذا نوعاً من الشعر لم يطرقه أحد من شعراء العبرية قبله، وهو شعر الألغاز. ومن هذا الشّعر قوله عن القلم:**

**رفيع جاف أملس**

**أخرس ولو أنه طليق اللسان**

**يقتل المرء في صمت**

**ويريق الدَّماء في فمه[7]**

---

(1) IBID, VOL.2, P.737.

(2) IBID, VOL.2, P.737

(3) IBID, VOL.2, P.373

(4) HAIM BEINART, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550.

(5) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص75.

(6) م. ن، ص75.

(7) م. ن، ص76.

**وفي هذا القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي قام يهودي اسمه عليزار بن يعقوب (566-630هـ=1170-1232م) بترجمة كتاب "كليلة ودِمنة" إلى اللغة العبرية. فأقبل اليهود على قراءته، وأحبَّوا هذا النوع من القصص الخرافية، فقام أُدباؤهم بمحاولاتٍ التقليدِ هذا الكتاب، فألف اليهودي الأندلسي يوسف زبارا (535-597هـ=1140-1200م) كتاباً باللغة العربية، يحتوي على العديد من القصص والأساطير الممتعة، وسّماه كتاب "البهجة والسرور"[1]. وقد قام يوسف قمحي بترجمته إلى العبرية بأسلوب شعري[2].**

**كما ألَّف سليمان بن جابيرول كتاباً في الأمثال والحكم سمّاه "مختار اللآلئ"، وسجَّل فيه عدداً كبيراً من الأمثال والحكم، وهي تتعلَّق بموضوعات مختلفة، وقد نقل كثيراً منها عن أمثال العرب وحكمهم. ويُعدُّ كتاب ابن جابيرول بداية لظهور هذا الفنّ في الأدب العبري، بعد أن كانت الأمثال والحكم عند اليهود محصورة بما جاء في الكتاب المقدَّس، ومقتصرة على النواحي الدينية فقط[3].**

**وفي هذا القرن أيضاً، عرفت العبرية نوعاً جديداً من الأدب لأوَّلِ مرَّةٍ، على يدِ سليمان بن صقبل، وهو فنُّ المقامات[4]. وبذلك صار اليهود يقرأون باللغة العبرية فَنَّاً طالما تمتَّعوا بقراءته باللغة العربية، وتمنَّوا أن يجدوه في أدبهم. وقد قلَّد ابن صقبل كثيرون، مثل يوسف بن زبارا. ولكنَّ أحسنهم كان أبو زكريا يحيى بن سليمان بن شاؤول الحريزي[5]، أو يهوذا بن سليمان الحريزي حسب اسمه اليهودي[6]. آخر شعراء النهضة الأدبية اليهودية في الأندلس[7].**

**ولد الحريزي في الأندلس سنة (565هـ=1165م)، وهاجر شمالاً إلى أسبانيا النصرانية وهو صبيّ، وهناك واصل تعليمه في مدارس يهودية ظلَّت تحت تأثير الثقافة الإسلامية، بالرَّغمِ من وجودها على أرضٍ غير إسلامية. واكتسب يهوذا شهرته من ترجمته لمقامات الحريري العربية إلى اللغة العبرية. وقد حرص يهوذا في ترجمته هذه أنْ يصبغها بصبغةٍ يهوديةٍ، بمعنى أنه لم يتقيدَّ بالنَّص العربي الذي يشيرُ أو يقتبس آيات من القرآن الكريم أو أمثالاً أو تقاليد عربية، أو أسماء لقبائل وشعراء عرب[8].**

**والحريزي لم يتعلَّم أيّ مهنةٍ غير الأدب والترجمة. لذا فقد كان يتجوّل في شمال أسبانيا وجنوب فرنسا، يترجم ما يُطلبُ منه من العربيةِ إلى العبرية، ويمدحُ بالعبرية كل من يغدق عليه، ويهجو كلَّ من يمْسِكُ عنه. وبعد أن قضى شبابه متجوّلاً، فكر في أواخر أيامه أن يقوم برحلةٍ إلى الشرق، ليمدح أثرياء اليهود هناك أملاً في الإغداقِ عليه، وزارَ مصر والشام والعراق، وكان في كلِّ بلدٍ يحلُّ فيه يمدحُ وجهاء اليهودِ فيها. وفي سوريا بدأ كتابة مقامات بالعبرية ليهودها اللذين يمدُّون له يد المساعدة المالية.**

---

[1] هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص120-121.

[2] م. ن، ص123.

[3] بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص494. ينظر: هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص120-127.

[4] عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص74.

[5] قارة، حياة، أندلسي في حلب، دراسة لترجمة خطية لابن شاؤول الحريزي الطليطلي، وجدت في الجزء الثامن من كتاب "قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان" لابن الشعار الموصلي، وهي محطوطة نشرت بالتصوير من طرف معهد العلوم العربية والإسلامية بجامعة فرانكفورت، مجلة دراسات مغاربية، ع8، 1998م، ص7-8.

[6] م. ن، ص9؛ عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص81.

[7] DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.745.

[8] عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص92؛ IBID, VOL.2, P.745.

ومقاماته التي تُسمى اليوم "بتحكموني" والتي كتبها بالعبرية تتضَّمن خمسين مقامة. وفي هذه المقامات أثبتَ الحريزي أنه أديب ممتاز، يستطيع أن يتلاعب بالألفاظ، و يُحسن استعمال المحسنات اللفظية والبديعية. وتشتمل مقامات الحريزي على فكاهة وفلسفة وحكم وأمثال. ومما زاد في أهمية المقامات الحريزية اشتمالها على مقامتين ضمَّنهما تاريخ الأدب العبري في الأندلس[1]. ويعترف الحريزي في إحدى هاتين المقامتين أنَّ شعره أقلّ من أن يُقارن بأشعار فحول الشعراء أمثال ابن جابيرول، ويهوذا هاليفي، وموسى بن عزرا وغيرهم. يقول: "ونحن الآن نلتقط فضلات حصادهم الذي نسوه. إننا نتَّبعُ خطواتهم، لكننا لا نستطيعُ أن نأخذ القيادة منهم"[2].

ويشير إلى أنَّ عصره يُمثِّل بداية غروب شمس العصر الذهبي للأدب العبري بقوله: "لقد عثر سليمان وموسى ويهوذا على أشخاصٍ متنوَّرين كرماء، اشتروا منهم جواهرهم، لكنّي ولِدتُ في العصر الذي اختفى منه كل الرَّعاة، وقد عثروا هم على أنهار الفردوس، أما أنا فقد عثرت على الحرارة والجفاف"[3].

وفي إحدى مقاماته يقدم وصفاً للشعراء والأدباء اليهود في الدول التي زارها، وهو يقسو كثيراً على شعراء تلك البلدان الذين لم يكونوا أكثر من مقلّدين للشعراء اليهود الأندلسيين[4].

مات الحريزي سنة (622هـ=1225م)، وبموته أسْدِلَ السّتارُ على مرحلةٍ من أزهى مراحل الأدب العبري، استمرت أربعة قرون، واستحقَّت أن تُسمّى بالعصر
الذهبي للأدب العبري[5].

المبحث الثالث

النشاط الفكري والعلمي لليهود في الأندلس

أولاً: العلوم الدينية:

ظلت الدراسات التلمودية لليهود في الأندلس تحتل المرتبة الأدنى في الإنتاج الفكري اليهودي، وذلك بسبب توجه معظم المثقفين اليهود هناك نحو الدراسات الأدبية والفلسفية والعلمية، واستمر هذا الحال إلى أن احتلَّ حسداي بن شبروط منصباً مهماً في حكومة الخليفة عبد الرحمن الناصر (300-350هـ=912-961م)، وصار يُقلد ملوك وأمراء وأثرياء المسلمين في الأندلس، الذين رغبوا في جعل بلدهم مركزاً للعلم والحضارة، فجلبوا إليه العلماء وشجعوهم، وأرسلوا إلى المشرق الإسلامي من يحضر إليهم ما يصدره العلماء هناك من كتب ورسائل، فكان الكتاب يشتهر في الأندلس في بعض الأحيان قبل أن يشتهر في بلد المؤلف نفسه؛ لقد أرسل حسداي إلى مختلف البلدان من جلب إليه نسخ التوراة الثمينة، وغيرها من الكتب التي كان يسمع عنها[6]؛ وفي الرسائل التي يصف بها يهود جنوب إيطاليا لحسداي اضطهاد السلطات البيزنطية لهم، ذكر أنه

---

[1] عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص93-94.
[2] DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.745.
[3] IBID, VOL.2, P.746.
[4] DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.7
[5] م. ن، ص95.
[6] ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.228-229, 237.

**قام صاموئيل مبعوث حسداي إليهم بنسخ كتاب جوزيف بن غوريون، واستغرق في نسخه ثلاثة أشهر[1].**

**ولم يقتصر نشاط ابن شبروط في هذا المجال على جلب الكتب، بل أرسل إلى علماء اليهود المشهورين من يدعوهم ويَعِدُهم ويشجعهم على القدوم إلى الأندلس، ويتحدث شاعر يهودي أندلسي عن حسداي فيقول: "إنه غرز أعمدة الحكمة، وجمع حوله رجالاً ذوي علم ومعرفة من فلسطين إلى العراق"[2].**

**ويعبر هذا النشاط الذي قام به حسداي عن روح التسامح، وعن الحرية الفكرية والدينية التي كانت تسود في الأندلس، فلو أنّ حسداي يعلم أنّ نشاطاته تلك تتعارض مع سياسة الحكومة، لما قام بها وعرَّض نفسه ومنصبه للخطر.**

**وكان الحبر اليهودي الإيطالي موسى بن حنوخ قد نقل إلى الأندلس العلوم التلمودية، والسن اليهودية المعروفة في إيطاليا، وتخرج على يديه العديد من التلاميذ، الذين صاروا يخدمون هذه الدراسات؛ وكانت ترجمة التوراة والميشنا إلى اللغة العربية التي يفهمها يهود الأندلس أكثر من اللغة العربية من أهم الأعمال التي دعمت الدراسات الدينية اليهودية، وقد قام بترجمة التوراة إسحاق فالسكيز في قرطبة سنة (335هـ=964م)[3].**

**وكان إسماعيل بن نغدله أحد تلاميذ الفاسي، وقد قام بالرغم من مهماته السياسية والأدبية بتأليف تفسير للتلمود، احتوى على تاريخ ومنهجية ما يُدعى بـ"السنة الشفوية"[4].**

**وكان الحبر الأعظم لأليسانة هو إسحاق بن غيَّاث (ت: 482هـ=1089م)، وهو أستاذ متبحِّرٌ في التفسير والفقه اليهودي، وكانت إنجازاته الرئيسة قد تركزت في مجال التلمود، ولكن لم يُحفظ منها إلا القليل؛ وأفضل أعمال ابن غيَّاث التي ما تزال محفوظة، ويردد اليهود الكثير منها هي قصائده الدينية، وهي تزيد على ثلاثمائة قصيدة، نظم معظمها على نمط الموشحات العربية[5].**

**وكان للعالم التلمودي المغربي إسحاق الفاسي (404-496هـ==1013-1102م) الذي ارتحل في زمن المرابطين إلى الأندلس، واستقر في أليسانة، أثرٌ كبيرٌ على تطور الدراسات التلمودية، وقد عَدّه اليهود خليفة الأحبار المشرقيين، وناقلُ علمهم إلى الأندلس؛ وقد أصبح الفاسي رئيساً للمدرسة التلمودية في أليسانة، تلك المدينة التي أصبحت المركز الروحي الجديد ليهود الأندلس بعد قرطبة وغرناطة؛ وقد تقاطر الطلاب اليهود من كل أرجاء الأندلس إلى تلك المدرسة، وتلقوا العلوم التلمودية على يدي ذلك العالم الكبير[6].**

---

(1) ينظر بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص488-489؛
HAIM BEINART, CORDOBA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.5, P.963.
JACOB MANN, TEXTS AND STUDIES IN JEWISH HISTORY AND LITERATURE, VOL.2, P.25-26.

(2) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.230.
نقلاً عن: IBN EZRA, MOSES, SHIRAT YISRAEL, P.63-64.

(3) طاهر، حامد، "منهج النقد التاريخي عند ابن حزم"، حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، (ع6، 1408هـ-1988م)، ص613.

(4) IBID, VOL.1, P.237;
DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.643.

(5) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص62؛
DUBNOV, HISTOY OF THE JEWS, VOL.2, P.644.

(6) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.643-644;
HAIM BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550.

**ويُعدَّ كتاب "التلمود المختصر" أعظم أعمال إسحاق الفاسي، حيث اختصر فيه التلمود، وسجل في مختصره ما يعتقد أنه مهمٌّ ومفيد، فسَهَّل على الطلاب استيعاب العلوم التلمودية؛ وعندما توفي الفاسي حزن يهود الأندلس، وكتب أعظم شعرائهم في ذلك العصر يهودا هاليفي على شاهدِ قبره الأبيات التالية:**

**في يوم سيناء، ارتعشت الجبال تشريفاً لك**

**لقد قابلك ملك الرَّب**

**وحفر التوراة على ألواح قلبك**

**ووضع تاجه المفقود على رأسك[1]**

**وكانت إشبيلية هي المركز الآخر بعد أليسانة التي انطلقت منها دراسة التلمود، وكان الحبر إسحاق الباليا المعاصر للفاسي فاعلاً جداً هناك، وقد كتب بحوثاً عدة عن قانون التلمود، تحتوي على كثير من التحليل والنقد والتفسير؛ وبعد دخول المرابطين إلى إشبيلية جُرِّد الباليا من مكانته العالية، وقضى أغلب حياته في غرناطة، ومنها بدأ جدلاً فكرياً مع الفاسي، وتبادل الحبران النقد واللوم كتابياً وشفوياً[2].**

**وتقول الرواية اليهودية أنه عندما أحس الباليا بدنوِ أجله شعر بالقلق على ولده باروخ، الذي كان في السابعة عشرة من عمره، فاستدعاه، وأمره بالذهاب إلى أليسانة للتتلمذ على يدي إسحاق الفاسي[3].**

**وكان أبو زكريا يحيى بن صاموئيل بن بلعام، أو "يهودا"، حسب اسمه العبري، أحد علماء اليهود التلموديين في الأندلس، وقد ولد في طليطلة في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، وتعلم فيها، حيث درس الكثير من البحوث التلمودية مثل كتاب "الأديان والآراء" للحبر سعديا، ثمّ انتقل إلى إشبيلية، وعمل فيها معلماً، وهناك وضع ابن بلعام أهم مؤلفاته الدينية، وهي تفسيراتٌ للتوراة باللغة العربية، وكان جريئاً في كتابته، إذ انتقد كثيراً من آراء المشاهير قبله أمثال سعديا وإسماعيل بن نغدله[4].**

**ومن علماء اليهود التلمودين أبو الحسن اللاوي، أو يهودا اللاوي، وقد عاش في الأندلس خلال المدة من (468-536هـ=1075-1141م)، وهو صاحب كتاب "الحجة والدليل في نصر الدين الذليل" الذي قيل أنه استغرق في تأليفه عشرين سنة، وأنه كان رداً على سؤال أحد اليهود، ويدافع اللاوي فيه عن اليهودية بالمقارنة مع الفلسفة اليونانية والديانتين النصرانية والإسلامية، وقد قسم كتابه إلى خمسة أقسام؛ ويتضح من خلال هذا الكتاب ثقافة صاحبه الواسعة، وتمكنه من العقيدتين النصرانية والإسلامية، وفلسفة الإغريق، وفلسفة ابن سينا[5].**

---

(1) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.644.

(2) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.644-645.

(3) ولفنسون، إسرائيل، موسى بن ميمون، حياته ومصنفاته، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر، ط6، 1355هـ-1936م)، ص3؛
DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.645.

(4) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.173-176;
الموسوعة العبرية، م25، ص487.

(5) الكواتي، اليهود في المغرب، ص160؛ الحفني، عبد المنعم، الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، (بيروت، دار المسيرة، ط1، 1980م)، ص160؛ جلال، الدب العبري، ص135-136.

**لقد تطورت الدراسات الدينية اليهودية في الأندلس تطوراً كبيراً، ونال الأحبار اليهود الذين تلقوا علومهم في الأندلس شهرة واسعة، وصار يهود المشرق ينظرون باحترام إلى الأحبار الذين يأتون إليهم من الأندلس.**

**وتشير العديد من وثائق الجنيزة المكتشفة في القاهرة إلى عالم يهودي قدم إلى مصر من الأندلس، يدعى إسحاق بن صاموئيل الأندلسي، وتبين الرسائل والوثائق من سنة (481هـ=1088م) إلى سنة (521هـ=1127م) أن إسحاق هذا قد لقي تبجيلاً كبيراً من يهود مصر، وأنه قد أصبح قاضياً لهم لسنوات عدة، وأنه قد منح ألقاباً فخرية مثل "معلم الكلية"، و"رجل المحكمة القدير"، وأنه بالرغم من تكريم يهود مصر له، إلا أنه كان يتباهى بأصله الأندلسي، ويحافظ على اتصالاته بأحبار اليهود في الأندلس[1].**

**وكان أشهر عالم على الإطلاق أنجبه يهود الأندلس هو موسى بن ميمون، الذي يسميه العرب موسى بن ميمون عبيد الله، ويسميه الأوربيون "ميمونيدس"، ويختصر اليهود اسمه إلى "رمبم"، وقد ولد بقرطبة سنة (530هـ=1135م)[2]، وتربى في بيئة علمية، حيث عمل والده ميمون التلمودي قاضياً، بعد أن تخرج من مدرسة الفاسي بأليسانة، وقد تعلم موسى الكثير من الأدب العربي والعبري قبل أن ترحل عائلته من قرطبة إلى المرية سنة (543هـ=1148م)[3]، وفي المرية تلقى موسى المزيد من التعليم الديني، كما درس الفلسفة والرياضيات والفلك والعلوم الطبيعية على أيدي الأساتذة المسلمين[4]؛ وصار لابن ميمون توجهاً فكرياً خاصاً وحماساً لكتابة أفكاره، ورغبة في تطوير الدراسات التلمودية، فبدأ في سنة (553هـ=1158م) بكتابة تفسير شامل للميشنا[5]، وقد انتهى منه بعد عقد كامل[6].**

**وفي سنة (555هـ=1160م) هاجرت عائلة ابن ميمون إلى فاس؛ وهناك تتلمذ موسى على يدي علم يُدعى يهوذا الكاهن؛ ولم تستقر أسرة ميمون طويلاً في فاس، بل تركتها حوالي سنة (561هـ=1165م)، وأبحرت إلى عكا ثم إلى مصر، واستقرت في مدينة الفسطاط، حيث كان الخلفاء [الفاطميون] يحسنون معاملة اليهود وغيرهم من الذميين؛ وأنشأ يهود الأندلس الذين ازداد عددهم في الفسطاط في زمن الموحدين مدرسة لتعليم علوم الديانة اليهودية والفلسفة والرياضيات والطب؛ وانضم موسى بن ميمون لهذه المدرسة، وواصل البحث والدرس، ولم يمض وقت طويل حتى أصبح من أساتذتها المبرّزين[7]، وعندما حكم الأيوبيين مصر صار ابن ميمون طبيباً للحكام الأيوبيين، ثم رئيساً للطائفة اليهودية في مصر[8].**

**لقد كان الإنتاج الفكري لابن ميمون غزيراً في علوم الديانة اليهودية، وقال عنه ابن أبي أصيبعة: "عالم بسنن اليهود، ويُعدّ من أحبارهم"[9]، ومن أوائل الكتب التي كتبها ونشرها، كتاب بعنوان "مناظرة عن الردة"، وقد كتبه وهو في**

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.4-6.

(2) ولفنسون، موسى بن ميمون، ص1-3؛ عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص88؛
LUZARUS GRUNHUT, MOSES B. MAIMON, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.9, P.73.
ديورانت، قصة الحضارة، جـ3، م4، ص120.

(3) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.759-760.

(4) ولفنسون، موسى بن ميمون، ص4-7؛ عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص88؛ جلال، الأدب العبري، ص146.

(5) الميشنا: قسم من التلمود، الذي ينقسم إلى قسمين: الميشنا والجمارا، والميشنا بمثابة المتن، والجمارا بمثابة الشرح. ينظر: عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص90؛ ولفنسون، موسى بن ميمون، ص43.

(6) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.762.

(7) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص88-89.

(8) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.762.

(9) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص583.

**المغرب رداً على رسالة أرسلها أحد الأحبار إلى الطوائف اليهودية في أفريقيا، يفتي فيها بأن أي يهودي ينطق بالشهادة يُعدّ مرتداً، حتى وإن كان يتظاهر بالإسلام، ويمارس الشعائر اليهودية؛ وقد هاجم ابن ميمون -الذين كان أحد اليهود المتظاهرين بالإسلام- ذلك الحبر، وأثبت صحة يهودية وتصرف المتظاهرين بالإسلام؛ وفي سنة (564هـ=1168م) أنهى ابن ميمون تفسيره للميشنا الذي بدأ به عندما كان شاباً في الأندلس، وقد كتبه بالعربية وسماه كتاب السراج، وفيما بعد ترجمه العديد من العلماء إلى العبرية؛ وفي مقدّمته ذكر بأن الهدف من وراء عمله هو تمكين الطلاب من استيعاب الميشنا، وإدراك التفسير العملي لكلِّ قانون فيها[1].**

**ويعلق ولفنسون على أسلوب ابن ميمون في الكتابات الدينية بقوله: "وأسلوب موسى العبري غني بالمفردات، دقيق في التعبير، وهو ليس بأسلوب الميشنا الخالص، كما أنه ليس بأسلوب الكتاب المقدس، وإنما هو خلق جديد خاص به قد أثرت فيه الأساليب النثرية العربية المألوفة عند علماء المسلمين في عهده، وكان أسلوب موسى بن ميمون العبري قد أصبح المثل الأعلى لكلِّ من دوَّن في التشريع بالعبرية"[2].**

**إنّ عقلية موسى بن ميمون وثقافته التي تشكلت وتأثرت بالبيئة العلمية التي تميزت بها الأندلس تحت حكم المسلمين، مكنته من الإبداع في كل ما كتب، ولا تزال مؤلفات ذلك الرجل من أمهات الكتب التي يرجع إليها علماء اليهود في الديانة والفقه اليهودي[3]، مما جعلهم يقولون فيه "من موسى [النبي عليه السلام] إلى موسى [ابن ميمون] لم يظهر كموسى"[4].**

**يقول إسرائيل ولفنسون: "ولسنا نعلم رجلاً آخر من أبناء جلدتنا غير ابن ميمون، قد تأثَّرَ بالحضارة الإسلامية تأثراً بالغ الحد، حتى بدت آثاره، وظهرت صبغته في مدوناته، من مصنفات كبيرة ورسائل صغيرة"[5].**

**مات موسى بن ميمون في مصر سنة (601هـ=1204م)، ثمَّ نُقلت عظامه إلى طبرية حسب طلبه قبل موته، وقد كُتب على قبره هناك بالعبرية ما ترجمته: "دُفن في هذا القبر موسى بن ميمون الطريد المحروم الكافر"[6].**

**ويروي ابن العبري أنه رأى جماعة من يهود بلاد الفرنج بأنطاكية وطرابلس، يلعنونه ويسمونه كافراً[7]؛ وقد دفع ذلك بالبعض للقول بأن موسى بن ميمون قد أسلم في أواخر أيامه[8]، لكن اليهود في وقتنا الحالي يرفضون ذلك[9]، إذ يقول ولفنسون عن العبارة السابقة التي على قبره أنها من وضع أعدائه، وأن هناك عبارة أخرى على القبر هي: "دفن في هذا**

---

(1) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.672.
ينظر: ولفنسون، موسى بن ميمون، ص43-45؛
L. GRUNHUT, MOSES B.MAIMON, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.2, P.74.
(2) ولفنسون، موسى بن ميمون، ص49؛
LAZARUS GRUNHUT, MOSES B. MAIMAN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.2, P.74.
(3) ولفنسون، موسى بن ميمون، التصدير؛ عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص90.
(4) ولفنسون، موسى بن ميمون، ص26؛ عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص90.
(5) ولفنسون، موسى بن ميمون، ص ك.
(6) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص240؛
LAZARUS GRUNHUT, MOSES B. MAIMAN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.9, P.74.
(7) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص240.
(8) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص90؛ جلال، الأدب العبري، ص146.
(9) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص90.

**القبر معلمنا موسى بن ميمون مختار الجنس البشري"، وأنّ هاتين العبارتين المتناقضتين تعبران عن الخلاف بين طائفتين يهوديتين متنازعتين حول شخصية موسى بن ميمون[1].**

**ولا يعرف شيء عن الكتابات الدينية لليهود في سلطنة غرناطة المسلمة في عهد سلاطين بني نصر، غير أننا نعرف أنه كان هناك عدداً من العلماء والكُتَّاب أمثال يهودا بن طيبون، وسعديا بن ميمون بن دنان، وسليمان بن جوزيف بن أيوب[2]، وإبراهيم سينيور (SENIOR)، وسليمان بن فيرغا[3].**

**والجدير بالذكر أن الفكر الديني اليهودي قد تأثر بالفكر الديني الإسلامي تأثراً كبيراً، وممن كتب في هذا الموضوع اليهودي نفثالي فيدر، وهو يقول في كتابه "التأثيرات الإسلامية في العبادة اليهودية": "إن الديانة اليهودية تأثرت تأثراً عظيماً بالبيئة الإسلامية"[4]، ويذكر نفثالي أن الوضوء كان من بين العبادات الكثيرة التي تأثر بها اليهود، فقلدوا به المسلمين، إذ أن الشريعة اليهودية لا توجب غسل القدمين في الوضوء، ولكن اليهود الذين عاشوا في أرض الإسلام صاروا يغسلون أقدامهم تقليداً للمسلمين[5]، وقد عبر عن ذلك شاعر يهودي يُدعى مناحيم دي لونزانوا، فقال في إحدى قصائده:**

**لا يكن العرب أكثر منك طهارة**
**الذين يغسلون أيديهم وأرجلهم بالماء في الفجر وظهراً وعشية**
**وحتى في الليل بينما يشتد البرد، ويسقط الثلج[6].**

**ويتحدث فيدر أيضاً عن ذلك التأثير فيقول: "إن كبار المشرعين لم يتحرجوا من أن يستخدموا في تأليفهم أفكاراً وخواطر مأخوذة من التأليف في الإسلام وفلسفته، وكثيراً ما توغل هذا التأثير حتى في استعمال كلمات نجدها حيث لم تكن نتوقعها تماماً، ويكفي ذكر شاهد واحد وهو هذه العبارة: "فليفتنا سيدنا وأجره مضاعف في السماء، فهذه العبارة التي اقترنت طوال مئات السنين بالأسئلة التي كانت تعرض على الجاؤونيم من رؤساء الطائفة اليهودية، ومن خلفهم، مصدرها هي الأخرى من الخارج"[7].**

**ثانياً: الجدل الفكري بين المسلمين واليهود في الأندلس.**

**وقعت في الأندلس العديد من المجادلات الفكرية بين المسلمين واليهود، وقد ساعد على حدوث هذه المجادلات، الحرية الفكرية التي توفرت لهم، وإتقانهم للغة العربية، وحصول بعضهم على مناصب حكومية مهمة، ورغبتهم في الحفاظ على معتقداتهم التي يمكن أن يؤثر عليها فكر المسلمين وعقيدتهم.**

**وكانت أهم المجادلات التي شهدتها الأندلس، هي المجادلة بين ابن حزم الأندلسي (384-456هـ=994-1063م) وإسماعيل بن نغدله، وقد بدأت هذه المجادلة، عندما وقعت في يد ابن حزم نسخة من رسالة لابن نغدله يردّ فيها على كتابه**

---

(1) ولفنسون، موسى بن ميمون، ص26؛ عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص89-90.
(2) HAIM, BEINART, GRNADA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.7, P.853.
(3) HAIM, BEINART, MALAGA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.1, P.817.
(4) فيدر، التأثيرات الإسلامية في العبادة اليهودية، ص9،
(5) م.ن، ص12-22.
(6) م.ن، ص21.
(7) فيدر، التأثيرات الإسلامية في العبادة اليهودية، ص10. ينظر: جوايتاين، دراسات، ص152.

**"الفصل في الملل والأهواء والنّحل"، ذلك الكتاب الذي يناقش فيه ابن حزم ما اشتملت عليه التوراة التي بين أيدي اليهود من تناقض وتحريف وتبديل، حيث أفرد لذلك فصلاً خاصاً سمّاه "فصل في مناقضات ظاهرة وأكاذيب واضحة في الكتاب الذي تُسَمِّيه اليهود التوراة"[1]؛ وقد رد ابن حزم على ابن نغدله في رسالة خاصة، وصلتنا، ونشرت تحت عنوان: "الرد على ابن النغريلة اليهودي"[2].**

**ولم تكن هذه المجادلة هي المجادلة الأولى التي يخوضها ابن حزم مع إسماعيل بن نغدله، فقد التقى به قبل ذلك في مالقة سنة 404هـ، وسأله عن قول التوراة: "لا تنقطع من يهوذا المخصرة، ولا من نسله قائد حتى يأتي المبعوث الذي هو رجاء الأمم"، فقال ابن نغدله: لم تزل رؤوس الجواليت ينتسلون من ولد داود، وهم من بني يهوذا، وهي قيادة وملك ورياسة، فقال ابن حزم: هذا خطأ، لأن رأس الجالوت لا ينفذ أمره على أحد من اليهود، ولا من غيرهم، وإنما هي تسمية لا حقيقية لها، ولا له قيادة، ولا بيده مخصرة..."[3]. ثم لم يذكر ابن حزم ماذا كان رد ابن نغدله عليه، وفي موضع آخر تساءل ابن حزم عن قول إبراهيم -عليه السلام- إن ساره أخته، فقال ابن نغدله: إنّ نص اللفظة في التوراة "أخت"، وهي لفظة تقع في العبرانية على الأخت، وعلى القريبة، فقال ابن حزم: يمنع من صرفنا هذه اللفظة على القريبة ها هنا قوله: لكن ليست من أمّي، وإنما هي بنت أبي، فوجب أنه أراد الأخت بنت الأم، قال: فخلط [ابن نغدله] ولم يأت بشيئ[4].**

**كما يروي ابن حزم في إحدى رسائله أنه كان يتردّدُ على دكان لطبيب يهودي يدعى إسماعيل بن يونس، وأنه كان يناظره، ثم يدعوه إلى الإسلام، وهو يتحدث عنه فيقول: "وكان يقول إذا دعوناه للإسلام وحسمنا شكوكه ونقضنا عِلَلَه: الانتقال في الأديان تلاعب[5].**

**وهناك مجادلة حدثت بن أحد اليهود والمفتي ابن لب، يسألُ فيها اليهودي عن القضاء والقدر بأبيات شعرية، يقول فيها:**

**أيا علماء الدين ذمي دينكم ... تحيَّ[illegible] دُلّه [illegible] بأوضح حجة**

**إذا ما قضى ربي بكفري بزعمكم ... ولم يرضه مني فما وجه حيلتي**

**قضى بضلالي ثم قال ارض بالقضا ... فهل أنا راضي بالذي فيه شقوتي؟**

**دعاني وسد الباب دوني فهل إلى ... دخولي سبيل بيّنوا قضيتي؟**

**إذا شاء ربي الكفر مني مشيئة ... فهل أنا عاصٍ باتباع المشيئة؟**

**وهل لي اختيارٌ أن أخالف حكمه؟ ... فبالله فاشفوا بالبراهين علتي.**

**فرد عليه ابن لب بقصيدة طويلة منها قوله:**

**فصدِّقْ وآمن بالنبي محمدٍ ... فملته قد عطّلت كل ملّةِ**

---

[1] ينظر: الحاردلو، إبراهيم، التوراة واليهود في فكر ابن حزم، (الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1982م)، ص27-29.

[2] ينظر: ابن حزم الأندلسي، الرد على ابن النغريلة اليهودي ورسائل أخرى، ص45-81.

[3] ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، جـ1، ص152-153.

[4] ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، جـ1، ص135.

[5] ابن حزم الأندلسي، رسائل ابن حزم الأندلسي، جـ1، ص114.

**وعوّلْ على علم الشريعة والتمسْ دليل هُداها من كتاب وسنة[1].**

**وذكر الشاطبي حواراً دار بينه وبين يهودي ينكر خلق عيسى عليه السلام من غير أبٍ بقوله: هل يكون شيئاً من غير مادة؟ فرد عليه: "فيلزمك إذاً أن يكون العالم مخلوقاً من مادة، وأنتم معشر اليهود لا تقولون بذلك، فأحد الأمرين لازم: إما صحة خلق عيسى من غير أب، وإما بطلان خلق العالم من غير مادة" فبهت اليهودي من جوابه المفحم[2].**

**ويروي المقري إحدى المناظرات الطريفة فيقول: "سمع يهودي بالحديث المأثور "نِعْمَ الإدام الخل"، فأنكر ذلك حتى كاد يُصرِّح بالقدح، فبلغ ذلك بعض العلماء، فأشار على الملك أن يقطع عن اليهود الخل وأسبابه سنة، قال: فما تمَّت حتى ظهر فيهم الجذام"[3].**

**وقد كان للسموءل المغربي الأندلسي، بعد إسلامه دورٌ في مناظرة اليهود، وذلك في كتابه "بذل المجهود في إفحام اليهود" الذي يقول عن سبب تأليفه له: "والغرض الأقصى من إنشاء هذه الكلمة الردّ على أهل اللجاج والعناد، وأن يظهر ما يغور كلمتهم من الفساد، على أنّ الأئمة ضوعف ثوابهم- قد انتدبوا لذلك في مناظراتهم اليهود أنواع السالك، إلا أنَّ أكثر ما نوظروا به لا يكادون يفهمونه أو يلتزمونه، وقد جعل الله في إفحامهم طريقاً مما يتداولونه في أيدهم من نص تنزيلهم، وإعمالهم كتاب الله عند تبديلهم، ليكون حجة عليهم موجودة في أيديهم... [4].**

**وأنتهج السموءل المنهج الذي سار عليه ابن حزم، مناقشاً إياهم في كتابهم بصورة جدلية مبرزاً التناقض الموجود في كتبهم، داحضاً حججهم وأقوالهم وآراءهم بالأدلة العقلية.**

**ومن الحجج العقلية التي اعتمد عليها في مسألة تكذيب اليهود لنبوة محمد عليه الصلاة والسلام: "إذا سألنا يهودياً عن موسى عليه السلام، وهل رآه وعاين معجزاته؟ فهو بالضرورة يقرّ بأنه لم يشاهد شيئاً من ذلك عياناً، فنقول له بماذا عرفت نبوة موسى وصدقه؟ فإن قال: إن التواتر قد حقق ذلك، وشهادات الأمم بصحته دليل ثابت في العقل، كما ثبت عقلاً وجود بلاد وأنها لم نشاهدها، وإنما تحققنا وجودها بتواتر الأنباء والأخبار، قلنا أن هذا التواتر موجود لمحمد صلى الله عليه وسلم وعيسى عليه السلام، كما هو موجود لموسى عليه السلام، فيلزمك التصديق بهما"[5].**

**واعتمد على الأدلة النقلية من الكتاب المقدس، عارضاً ما جاء فيه باللغة العبرية مع ترجمته إلى العربية، ثم يناقش الفكرة أو الفقرة مبيناً وجه التناقض فيه ليصل في النهاية إلى قضية تحريف اليهود لكتابهم.**

**وهو يتحدث عن الأسباب التي دفعته لاعتناق الإسلام وترك اليهودية فيقول: "ثم لما فحصت ودققت واتصلت إلى معرفة هذه القواعد الدينية ورأيتها أنها حديثة، وليس لها سند في التوراة، فقلت لنفسي: ويه ويه، ما الذي يحملك على قعودك في هذه الشريعة الغير ممكن إتقانها والعمل بها، لا بل وممتنع أيضاً"[6].**

---

[1] الونشريسي، المعيار، جـ11، ص266، 350.
[2] الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، الإفادات والإنشاءات، تحقيق: "أبو الأجفان، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1983م)، ص156.
[3] المقري، نفح الطيب، م5، ص256.
[4] بذل المجهود في إفحام اليهود، ص20.
[5] م.ن، ص23.
[6] السموءل بن يحيى، بذل المجهود، ص9-10.

**وبعد أن يسرد تلك الأسباب يقول: "فهذا وأمثاله هو الذي أحوجني أن أترك الدين اليهودي المتروك بالطبع، إذ نراه كميت لا يتحرك، وأتبع الدين المحمدي الحي المتحرك، والمحبوب صافيه ومخلصه عند كل عاقل، وأجهر بصوتي وأقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله"[(1)].**

**وقد استمر الجدل الفكري بين مسلمي ويهود الأندلس حتى في المدن التي كانت تسقط في يد النصارى الأسبان[(2)].**

**واستخدم اليهود قدراتهم على المجادلات الفكرية والدينية التي تطورت في ظل الحكم الإسلامي للأندلس في مجادلة النصارى بعد سقوط المدن الأندلسية في أيدي الأسبان، إذ خاضوا مع علماء النصارى في طرطوشة وبرشلونة وغيرها من المدن الأسبانية مجادلات ساخنة ذاعت شهرتها[(3)].**

**ثالثاً: الفلسفة**

**لم يعرف عن اليهود عبر تاريخهم الطويل اهتمام يستحق الذكر في مجال الفلسفة، اللهم إلا ما كتبه فيلو اليهودي (25ق.م-50م) في الإسكندرية محاولاً أن يحمي المعتقدات اليهودية من الثقافة اليونانية الوثنية التي كانت الإسكندرية مركزها[(4)].**

**يؤكد ذلك ابن العبري صاحب الاطلاع الواسع على الفكر الفلسفي بقوله: "العبرانيون لمفارزتهم باقي الأمم، حرموا تعلم الحكمة، مقتصرين على الشرائع وسير الأنبياء"[(5)]، ويؤكده صاعد الأندلسي بقوله: "وأما بنو إسرائيل فلم يشهروا بعلوم الفلسفة، وإنما كانت عِنايتهم بالشريعة"[(6)]. ويشهد على ذلك المستشرق اليهودي مونك فيقول: "لم يوجد في كتبهم- أي في كتب اليهود- أي أثر لهذه التأملات الميتافيزيقية التي نجدها لدى الهنود أو اليونان، ولم تكن لهم فلسفة بالمعنى الذي نطلقه على هذه الكلمة"[(7)].**

**فالفلسفة اليهودية ظهرت للوجود بصورة واضحة أثناء العصر الوسيط، أي في ظل الحكم الإسلامي، حيث شعر اليهود لأول مرة في تاريخهم بالأمن والطمأنينة[(8)].**

**وأول شخصية بارزة مشهورة تمثل الفلسفة بين اليهود الأندلسيين هو سليمان بن جابيرول، الذي اشتهر بنشاطه الفكري في الشعر والنحو والفلسفة وشرح الكتاب المقدس؛ أما عمله الفلسفي الكبير فهو كتاب "ينبوع الحياة"، وهو عبارة عن محاولة فلسفية بين أستاذ وتلميذ، وقد اشتق اسم الكتاب من أنه يرى أن المادة والصورة أساس الوجود، ومصدر الحياة في كل شيئ مخلوق[(9)]؛ ويتلخص مضمون الكتاب في أنّ العالم يتكون من الإله والعالم الروحي والعالم المادي، أما الإنسان فيتكون من العالم الروحي والمادي، فجسمه من العالم المادي، وروحه وإدراكه من العالم الروحي، فهو إذا عالم صغير؛**

---

(1) م.ن، ص78.
(2) ينظر: الخزرجي، أحمد بن عبد الصمد، مقامع الصلبان، تحقيق: عبد المجيد الشرفي (تونس، 1975م)، ص119-122.
(3) MARTIN GILBERT, JEWISH HISTORY ATLAS, P.34.
(4) هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص138-139.
(5) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص21.
(6) طبقات الأمم، ص131.
(7) النشار، علي سامي، والشربيني، عباس احمد، الفكر اليهودي وتأثيره بالفلسفة الإسلامية، (الإسكندرية، منشأة المعارف، 1972م)، ص4.
(8) م.ن، ص14.
(9) هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص148.

**وهو يرجع الفضائل والرذائل إلى الحواس الخمس[1]، وقد تأثر في كتابه بفلسفة ابن مسرة الأندلسي[2]، المولود بقرطبة سنة (269هـ=883م)[3]، وتُرجم الكتاب إلى اللاتينية في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، والى العبرية في القرن التالي[4].**

**ومن الفلاسفة المشهورين في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي يحيى بن يوسف بن باقودا، الذي عاش في سرقسطة، وكتابه الرئيس في الفلسفة كان بعنوان "الهداية إلى فرائض القلوب"، وقد عرض يحيى في مقدمته لكتابه إلى السبب الذي دعاه إلى كتابته، وهو أنّ القرن الذي كان يعيش فيه نسي الحياة الباطنية، وبيّن أنّ العامّة قد انكفأوا على العبادات والطقوس، فأدوها مجرد حركات فقط، إذ كانت بعيدة عن التعقل وحضور القلب، فانعدم التأمل والنظر؛ وأن الخواص قد تحجرت قلوبهم بظواهر الشريعة التلمودية، ونسوا العنصر الأساسي للدين، ولذلك كتب هو كتابه شفاء للناس من هذه النكبات، وليقدم لهم عقائد تقودهم إلى حياة روحية حقة[5].**

**ويذكر بالنثيا مقتطفات من فاتحة كتاب ابن باقودا[6]، ثم يعلق عليها بقوله: "وأسلوبه في الكتاب، كما هو ظاهر، شديد الشبه بأساليب المسلمين، مما حدا بسالومون يهودا وجولدتسيهر إلى مقابلته ببعض ما كتب المسلمون في هذا الباب، فَتَبَيَّنَ للأول منهما أن يحيى ينقل في بعض الأحيان نقلاً حرفياً عن بعض كتب الغزالي، وأورد فقرات من كتاب "الحكمة في مخلوقات الله" لأبي حامد، وقابلها بما يشبهها من كلام يحيى في "الهداية" "[7]، وقد ذكر بأن كتاب ابن باقودا هذا أول كتاب في الفلسفة الأخلاقية[8].**

**ويعلِّق آشتور على كتابات ابن باقودا بالقول: "فهو لم يستعر فقط العديد من الأفكار والمفاهيم من الأدب العربي، ويستشهد بالكثير من المقولات المنسوبة إلى محمد [صلى الله عليه وسلم] ورجالات الإسلام، وحتى آيات من القرآن، بل إنَّ الآراء نفسها التي ذكرها، لم تكن متناسقة مع العقائد اليهودية الرسمية"[9].**

**ويبدو أن الأمر لم يتوقف على نقل الفكر، بل وصل إلى درجة أخطر، جعلت الفقيه الأندلسي ابن عبدون يسارع إلى الإفتاء بأنه "يجب أن لا يباع من اليهود ولا من النصارى كتاب علم، إلا ما كان من شريعتهم، فإنهم يترجمون كتب العلوم، وينسبونها إلى أهلهم، وأساقفتهم، وهي من تواليف المسلمين[10].**

---

(1) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص57-58؛
الحفني، الموسوعة النقدية، ص27،

(2) بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص493.

(3) هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص141.

(4) الكواتي، اليهود في المغرب، ص175.

(5) الشربيني والنشار، الفكر اليهودي، ص25؛ قارن: عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص72؛ ينظر: ابن باقودا، يحيى بن يوسف، الهداية إلى فرائض القلوب، اعتنى بطبعه من أصل نسخ أوكسفورد وباريس وبتسبورج، إبراهيم بن سليمان بن بنيامين يهودا، (ليدن، ط1، 1907-1912م)، ص3-34.

(6) بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص494-496.

(7) بالنثيا، تاريخ الفكر الإسلامي، ص496.

(8) الحفني، الموسعة النقدية للفلسفة اليهودية، ص34.

(9) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.57.
للمزيد من التفاصيل عن فكر يحيا بن بقودة، وتأثره بالمسلمين، ينظر:
كتابه: "الهداية إلى فرائض القلوب"؛
ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.51-58.

(10) ابن عبدون، رسالة ابن عبدون في الحسبة والقضاء، ص57.

نشأت في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي بين المسلمين فلسفة عرفت بالفلسفة الإلهية، وأخذت هذه الفلسفة الجديدة تحارب الفلسفة الكلامية؛ وقد عبر عن هذه الفلسفة الجديدة الإمام الغزالي في كتابه "تهافت الفلاسفة"، ووصلت أفكاره إلى الأندلس، فتصدى لها بعض فلاسفة المسلمين، ومنهم أبو الوليد محمد بن رشد (520-595هـ=1126-1198م)، وقد انعكس هذا الجدل الفكري على يهود الأندلس، فقلدوا فلاسفة المسلمين حتى في خلافاتهم[1].

وكان يهودا هاليفي أو اللاوي (478-543هـ=1085-1148م) من أشهر فلاسفة اليهود في الأندلس الذين قلدوا الغزالي في تصديه للفلاسفة، ولهذه الغاية ألف يهودا كتابه المسمى "كتاب الحجة والدليل في نصرة الدين الذليل"، كتبه بالعربية، وترجمه يهودا بن تبون أخيراً إلى اللغة العبرية؛ وقد دافع يهودا في كتابه هذا عن الدين والتعاليم اليهودية، وهاجم الفلاسفة، وانتقدهم انتقاداً مراً لأنهم أرادوا أن يؤيدوا الدين بالفلسفة[2].

ونشأ عن هذا أن قام كثير من فلاسفة اليهود يدافعون عن الفلسفة، مثلما حدث عند المسلمين؛ وكان أشهر الفلاسفة اليهود في هذا المجال إبراهيم بن داود (504-576هـ=1110-1180م) المولود في طليطلة، وقد ألف في ذلك كتاب "العقيدة الرفيعة"، ردّ فيه على يهودا اللاوي، وبين أن الفلسفة لا تتعارض مع الدين، وأن التوراة تشتمل على كل شيئ[3]. واستخدم ابن داود في كتابه الحجج نفسها التي استخدمها كل من الفارابي وابن سينا في الرد على الغزالي[4]، وقد كتب إبراهيم بن داود كتابه باللغة العربية، وفي سنة(795هـ=1392م) قام صاموئيل موتوت بترجمته إلى العبرية[5].

وكان موسى بن ميمون (530-601هـ=1135-1204م) أشهر فيلسوف يهودي عرفته الأندلس، ويمثل كتابه "دلالة الحائرين" ذروة التفكير اليهودي الفلسفي الذي تأثر بالفكر الإسلامي في القرون الوسطى[6]. "وهو يُعدّ بحق جُماع ما في اليهودية من لاهوت وفلسفه، ولقد حاول ابن ميمون أن يوفق فيه بين العقل والدين، كما فعل ابن رشد وابن حزم بعده"[7]، وقد كُتب الكتاب باللغة العربية، ثم تُرجم إلى العبرية واللاتينية، والى لغات أوربية أخرى كثيرة[8].

رابعاً: التاريخ والجغرافيا

من الملاحظ أن يهود الأندلس لم يهتموا بكتابة التاريخ، فعلى مدى القرون الثمانية التي عاشوها تحت حكم المسلمين في الأندلس لم يبرز منهم في هذا المجال إلا مؤرخ واحد هو إبراهيم بن داود (504-576هـ=1110-1180م)؛ وفي الكتاب التاريخي الوحيد الذي كتبه بعنوان "هكبالاّ" بمعنى "التصوف"، لم يتناول ابن داود التاريخ الأندلسي، بل ركز

---

[1] هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص151.
[2] م.ن، ص150-151.
[3] م.ن، ص150-151؛ الحفني: الموسوعة النقدية، ص30.
[4] بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص500؛ هنداوي، الأثر العربي، ص153.
[5] هنداوي، الأثر العربي، ص153.
[6] م.ن، ص156.
[7] بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص502-503.
[8] م.ن، ص502.
للمزيد من التفاصيل عن كتاب "دليل الحيران"،
ينظر: DUBNOV, HISTORY OFG THE JEWS, VOL.2, P.767-772.

**على تاريخ كتابة التلمود، وكيف انتقلت السلطة الروحية ليهود من المشرق إلى المغرب، وقد عرض في كتابه روايات تتعلق بالحياة الاجتماعية ليهود الأندلس[1].**

**وبالرغم من عدم وجود مؤلفات تاريخية لليهود إلا أن هناك ما يدل على اهتمام بين يهود الأندلس بقراءة التاريخ ومعرفته، إذ ذكر ابن أبي أصيبعة حينما ترجم لحسداي بن شبروط، بأنه أول من فتح ليهود الأندلس باب علمهم في الفقه والتاريخ بعد أن كانوا يستشيرون في هذه المسائل المدرسة اليهودية في بغداد[2].**

**كما أشتهر دوناش ابن لبراط بين اليهود باطلاعه الواسع على التاريخ اليهودي، ويظهر كتاب "المحاضرة والمذاكرة" لموسى بن يعقوب بن عزرا اهتماماً كبيراً منه بالتاريخ إذ يحتوي على معلومات تاريخية كثيرة[3].**

**وعلى طريقة الرحالة والجغرافيين المسلمين قام أفراد من يهود الأندلس برحلات إلى دول عديدة، وألفوا كتباً عن رحلاتهم، دونوا فيها كثيراً من المعلومات التاريخية والجغرافية المهمة.**

**ومن أوائل الرحالة اليهود إبراهيم بن يعقوب الإسرائيلي الطرطوشي الذي عاش في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وكان تاجراً للعبيد تجول في جنوب ألمانيا سنة (335هـ=965م)، وقابل الإمبراطور أوتو. وترك إبراهيم رحلة مدونة تُعدُّ اليوم في حكم المفقود، وقد أمكن التعرف عليها من خلال النقول الكثيرة منها عند كلٍّ من البكري والقزويني. ورحلته تحتوي على معلومات شيقة ومفصلة عن إمارات الصقالبة في أوروبا الوسطى، كبلغاريا وبولندا والتشيك، وأورد تفاصيل واسعة عن بعض المدن الساحلية أو القريبة من الساحل بفرنسا وهولندا وألمانيا[4].**

**والطرطوشي "لم يكن تاجراً فحسب... بل كان من المحبين لاقتناء الكتب، كما كان شخصاً مثقفاً دقيق الملاحظة"[5].**

**ومن الذين كتبوا في هذا المجال أيضاً بنيامين التطيلي المتوفى سنة (586هـ=1190م)، الذي ألف كتاباً بعنوان "همساعوث" أي "الرحلات"، ويُعدّ كتابه هذا مرجعاً مهماً في تاريخ اليهود وأحوالهم وجغرافية البلاد التي كانوا يعيشون فيها في عصره، فقد كتب بالتفصيل عن رحلاته في الشمال الأسباني، وجنوب فرنسا وإيطاليا وتركيا وجزائر بحر أيجه وقبرص وسوريا وفلسطين والعراق واليمن وصقلية، ووصف مدنها الرئيسة، وأسماء اليهود البارزين في كل مدينة؛ فنجد مثلاً أنه أفرد جزءاً كبيراً لوصف روما والإسكندرية، وأشار إلى المعاملة الطيبة التي كان يلقاها اليهود تحت ظل الخلافة الإسلامية، كما كتب أيضاً عن البلاد التي لم يزرها، ولكنه سمع عنها مثل الهند وسيلان وبولندا وروسيا[6]؛ وقام عزرا حداد**

---

[1] محمد بحر، اليهود في الأندلس، ص82؛
DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.756.
ينظر:
ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.6-7.

[2] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص492؛
السموءل بن يحيى، بذل المجهول في إفحام اليهود، ص6-7.

[3] الكواتي، اليهود في المغربن ص173.

[4] البكري، المسالك والممالك، "الجزء الخاص بالندلس"، ص80، 81، 155، 170، 174؛
القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، (بيروت، دار صادر، 1969م)، ص206، 556، 575، 600، 601، 607؛ كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص83؛
ينظر: E.DAVIS, TORTOSA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1268.

[5] كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب، ص83.

[6] DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.756-757;
عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص81-82.

**بترجمة الكتاب إلى اللغة العربية، عن الأصل العبري، وتمّت طباعته في بغداد سنة (1346هـ=1945م)[1]؛ وقد تأثر بنيامين التطيلي في كتابه هذا بطريقة الرحالة المسلمين وأساليبهم[2].**

**خامساً: الطب**

**اهتمَّ يهود الأندلس بتعلم الطب، وعدُّوه وسيلةً للكسبِ وللحصول على مناصب رفيعة لدى حكام الأندلس وأمرائها[3]؛ وقد تعلم معظم الأطباء اليهود الأندلسيين في المعاهد الإسلامية، على أيدي الأطباء المسلمين الذين تفَوقوا في هذا المجال، وأكثروا فيه التأليف. يظهر ذلك من خلال قائمة تراجم الأطباء الأندلسيين التي أوردها ابن أبي أصيبعة في "عيون الأنباء".**

**ومن أطباء اليهودِ في الأندلس يحيى بن إسحاق الذي استوزره عبد الرحمن الناصر، وذكر له ابن أبي أصيبعة كتاباً في الطب دون إشارةٍ إلى اسمه أو محتواه[4]. وإسحاق بن قسطار الذي خدم مجاهد العامري مؤسس إمارة دانية[5]؛ وابن بكلارش الذي خدم بطبِّه أمراء بني هود في الأندلس، فقد أَلف كتاب "المجدولة" في الأدوية المفردة، وأهداه إلى المستعين بالله أبي جعفر بن أحمد بن المؤتمن بالله بن هود[6]؛ وأبو الفضل بن حسداي، الذي يروي الشنتريني أن ذي الوزارتين أبو عامر بن الفرنج أرسل إليه أبياتاً من الشعر يطلب منه دواء يدعى "الدياخيلون"، فردَّ عليه أبو الفضل بأبياتٍ شعريةٍ يقول فيها:**

**يا آخذاً باليمين ... في المجدِ شتَّى الفنونِ**
**سلِّم العلمي في الط ... بِّ والقراباذينِ**
**لا ينبغي أن يُداوى ... الخُرّاج بالتليينِ**
**حتى يُقوَّم رَدْعُ الـ ... أخلاطِ بالتسكينِ**
**وقد بعثتُ شراباً ... يُعزى إلى الزرجونِ**
**يُغني إذا ذقته عن ... شرابِ الافسنتينِ[7]**

**والطبيب اليهودي إسماعيل بن يونس الذي كان بصيراً بالفراسة محسناً لها، وهو من أهل المرية[8]؛ وأبو أيوب سليمان بن المعلم الإشبيلي[9]، وأبو الحسن ماير بن قمنال[10]، اللذان كانا طبيبين لبعض حكام المرابطين؛ وإلياس بن**

---

ينظر: التطيلي، بنيامين بن يونه، رحلة بنيامين، ترجمة: عزرا حداد، (بغداد، المطبعة الشرقية، ط1، 1364هـ=1945م)، ص25-28.
(1) ينظر: التطيلي، رحلة بنيامين، "صفحة الغلاف".
(2) ينظر: فرج، القدس، ص135.
(3) ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص488-498؛
NEHMAN,THE JEWS IN SPAIN, VOL.2, P.108.
(4) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص488-489.
(5) م.ن، ص498.
(6) م.ن، ص501.
(7) الشنتريني، الذخيرة، ق3، م1، ص487.
(8) ابن حزم الأندلسي، رسائل ابن حزم الأندلسي، جـ1، ص114.
(9) HAIM BEINART, SEVILLE, ENCYCLOPEDIA JUDAICA ,VOL.14.
(10) الأهواني، عبد العزيز، "على هامش ديوان ابن قزمان"، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، (م18، مدريد، 1974-1975)، ص77.

**المدور الرُّندي الذي عاش في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي[1]؛ ومروان بن جناح صاحب كتاب "التلخيص"، الذي تكلَّم فيه عن الأدوية، وحدَّد مقادير الأوزان والمكاييل المستخدمة في صناعتها[2]؛ ومنجم بن الفوال الذي قال عنه ابن أبي أصيبعة: "من سكان سرقسطة، وكان متقدماً في صناعة الطب"[3]؛ ويحيى بن الصائغ الذي كان طبيباً خاصًّاً لبني الأحمر في أواخر القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي[4]؛ وأبراهام بن الثرثار الذي كان طبيباً في بلاطٍ محمد الخامس النصري، والذي أثارت شهرته حسد الطبيب الغرناطي محمد اللحمي الشقوري، فوضع كتاباً بعنوان "قمع اليهود عن تعدّي الحدود"، وعندما خُلع محمد الخامس، وانتقل إلى المغرب عام (760هـ=1359م)، لجأ ابن الثرثار إلى قشتالة، ومن هناك انتقل إلى المغرب، واتصل بسلطانه المخلوع، ثم عادَ معه إلى غرناطة[5].**

**وأشهرُ عالمٍ يهوديّ كتب في الطب، واشتهر به، وتأثر بأطباء المسلمين هو موسى بن ميمون الذي تعلَّم الطب على أيدي المسلمين في الأندلس والمغرب[6]، يقول عنه القفطي: "قرأ علم الأوائل بالأندلس، وأحكم الرياضيات وأخذ أشياء من المنطقيات، وقرأ هناك الطب فأجاده"[7]، ومارسها في مصر، ووضع فيها مؤلفاته الطبيعة التي بلغت عشراً، بين مقالةٍ ورسالةٍ دُوِّنت جميعها بالعربية[8]، منها اختصار الكتب الستة عشر لجالينوس[9]، والذي يسمى كتاب "المختصر"[10]، الذي تحدَّث عنه القفطي بقوله: "وصنف مختصراً لواحد وعشرين كتاباً من كتب جالينوس، فجاء في غاية الاختصار"[11] ومقالة في البواسير وعلاجها، ومقالة في السموم والتحرز من الأدوية القَتَّالَة[12].**

**ومقالة في تدبير الصحة ألفها للملك الأفضل بن صلاح الدين الأيوبي[13]، وكتاب "شرح أسماء العقار" شرحَ فيه أسماء العقاقير المستعملة في صناعة الطب. وقال في مقدّمته: "قصدي في هذا الكتاب شرح أسماء العقاقير الموجودة في أَزْماننا، المعروفة عندنا، المستعملة في صناعة الطِّب في هذه الكتب الموجودة لدينا"[14].**

**أمَّا أكبر رسائله الطِّبية شهرةً فهي "فصول موسى" وتشمل على 1500 قانون طبي، استخلصت من مُصَنَّفاتِ جالينوس وغيره من أطباء الإغريق، وله عليها تعليقات ونقد، وقد ذَكَرَ فيها من أطباء المسلمين ابن زهر وابن رضوان. وقد تُرجمت إلى العبرية واللاتينية[15].**

---

(1) ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى الغرب، جـ1، ص336، ترجمة رقم: (نقص)؛ المقري، نفح الطيب، م3، ص528.
(2) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص498.
(3) عيون الأنباء، ص498.
(4) ابن خلدون، العبر، جـ4، ص178-179.
(5) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، جـ2، ص42، 53.
(6) ولفنسون، موسى بن ميمون، ص142.
(7) القفطي، أخبار العلماء، ص209.
(8) م.ن، ص143.
(9) جالينوس: أحد علماء الإغريق الذين عاشوا في القرن الثاني الميلادي، وهو أشهر أطباء العالم القديم ؛ ولفنسون، موسى بن ميمون، ص144.
(10) م.ن، ص144.
(11) القفطي، تاريخ الحكماء، ص 329.
(12) ولفنسون، موسى بن ميمون، ص150 ؛
LAZARUS GRUHUT, MOSES B. MAIMON, THE JEWISH ENCYCLOUPEDIA , VOL 9,P.82.
(13) ينظر:ولفنسون، موسى بن ميمون، ص146-150؛
LAZARUS GRUHUT, MOSES B. MAIMON, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.9, P.73-74.
(14) ابن عبد الله الإسرائيلي القرطبي، أبو عمران موسى، شرح أسماء العقار، نشر وتصحيح ومراجعة ماكس مايرهوف، (بغداد، مكتبة المثنى، 1940م)، ص3.
(15) ولفنسون، موسى بن ميمون، ص143 ؛

**والجديرُ بالذَّكر أن بعضاً من أَطبَّاء اليهود في الأندلس لم يلتزموا بأخلاق مهنتهم، وتعمّدوا في تسميمِ وقتل بعض مرضاهم من المسلمين[1]. وكان أحد ضحايا هذا النوع من الأطباء اليهود أبو سعيد بن لب الذي قدَّم له طبيب يهوديّ دجاجة اقتصر على ماء الوردِ في إنضاجها، بعد أن أوهمه أنَّ عملها على تلك الصفة مما ينعش قوَّته ويُنهضها، فتسبّب في موته[2]. وكذلك موسى بن مفروح الذي حاول أن يستقلَّ بغرناطة عن دولةِ المرابِطين[3]، فَدُسَّ إليه يهودي ينتحِل الطب، سقاه يوم أربعاء، ودفن يوم جمعه[4].**

**وقد أثَّرت مثل هذه التجاوزات على سمعة الأطباء اليهود لدى مسلمي الأندلس، وقام الفقهاء بتحذير المسلمين منهم. وها هو ابن عبدون يقول: "فإنَّهم لا يرون نصيحةَ مسلَمٍ، إلاَّ أن يُطبِّبوا أهل ملَّتهم، ومن لا يرى نصيحةَ مسلمٍ، كيف يوثق على المُهج؟!**[5]

**وتكشف إحدى الرسائل التي بعث بها المجمع اليهودي العالمي في الآسِتانة إلى يهود أسبانيا النصرانية، والمؤرخة في 13-كانون الثاني سنة 1984م، عن أن استغلال اليهود لمهنة الطب في قتل أعدائهم لم يكن تصرفاً فردياً، وإنما بتوجيه من قادتهم وأحبارهم، فقد جاء في الرسالة: "أيها الأخوة الأعزاء بموسى، تلقينا كتابكم وفيه تطلعون على ما تقاسونه من الهموم والبلايا، فكان وقع هذا الخبر شديد الوطأة علينا، وإليكم رأي المرازبة [الحكام] والربانيين:... بمقتضى قولكم إنهم يعتدون على حياتكم، فاجعلوا أولادكم أطباء وصيادلة ليعدموا المسيحيين حياتهم"[6].**

**وقد عانى النصارى الأسبان في المدن الأندلسية المحتلة من أخلاقيات بعض الأطباء اليهود، ووجدوا أنهم لا يتورعون من قتل مرضاهم. فأصدرت الكنيسة تشريعاً يحرّم على النصارى التداوي عند الأطباء اليهود[7].**

**سادساً:الفلك والرياضيات**

**اهتم اليهودُ بعلم الفلك للاستعانةِ به في معرفةِ التقويم السنوي، وتحديد أيَّامِ أعيادهم، لكنَّ مَعرِفتهم فيه ظلَّت محدودةً، ولم تتحسَّن إلاَّ عندما عاشوا في دولة الإسلام، حيث تمكَّنوا في الشرق الإسلامي من كتابةِ مقالات بسيطةٍ عن طول السنة الشمسية والقمرية، وعن النجوم والأبراج والاسطرلابِ والرياح[8].**

**وفي الأندلس نبغَ عدد من اليهود في الفلك والرياضيات، وذلك بسبب وجود الأساتذة المسلمين الكبار الذين تتلمذ اليهود وغيرهم على أيديهم، أمثال مسلمة بن أحمد المجريطي المتوفى عام (398هـ=1007م) "إمام الرياضياتِ في**

---

LAZARUS GRUHUT ,THE JEWISH ENCYCLOPEDIA ,VOL.9,P.82.
(1) ينظر:ابن خلدون، العبر، ج4، ص178-179.
(2) ابن عاصم الغرناطي، جنَّة الرضا، ص128-129.
(3) ابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص76-77.
(4) م.ن، ص76-77.
(5) ابن عبدون، رسالة ابن عبدون في الحسبة والقضاء، ص57.
(6) الخوري، مؤامرة اليهود على المسيحية، ص41-42.
(7) NEHMAN ,THE JEWS IN SPAIN ,VOL.2, P.110.
(8) WAXMAN ,A AHISTORY OF JEWISH LITERATURE (N,Y. BLOCH PUPLISHING COMPANY ,1938 ) ,VOL.1 ,P.444,447; NEHMAN ,THE JEWS IN SPAIN ,VOL.2 ,P.103-104.

**الأندلس، وأعلم من كان قبله بعلم الفلكِ وحركات النجوم"[1]؛ وأصبغ به السمح الذي يرع في النجوم والهندسة، وأبو القاسم الصفَّار أستاذ الرياضيات في قرطبة، وابن زيدٍ القرطبي منجّم الخليفة المستنصر بالله (350-366هـ=961-976م)، وصاحب كتاب "تفضيل الأزمان ومصالح الأبدان"[2]، وإبراهيم بن يحيى النقَّاش المعروف بالزرقبال المتوفى عام (480هـ=1087م)، الذي قال عنه القفطي: "إنه أبصرُ أهلُ زمانه بأرصادِ الكواكبِ وهيئة الأفلاك"[3].**

**ومن مشاهير وأوائل اليهود في الأندلس في علم الفلك "حنان"، الذي كان قاضياً لليهودِ في قرطبة سنة (360هـ=970م)، وصاحب كتابٍ مطوّل في الفلك[4]. وأبو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي الذي يقول فيه ابن أبي أصيبعة: "برع في علمِ العدد والهندسة وعلم النجوم"[5]، دون أنه يذكر مؤلفاته. وأبراهام بن يحيى (ت: 531هـ=1136م)، الذي دَوَّن مؤلفاته باللغة العبرية، وهذه المؤلفات هي:-**

**1- مقالات في الهندسة.**

**2- كتاب في النجوم.**

**3- دائرة معارف في الهندسة والحساب والفلك والموسيقى.**

**4- كتاب في الجداول الفلكية يُسَمَّى "جداول البتَّاني"، لأنه تبع فيها الفلكي المسلم البتاني[6].**

**ولابن يحيى كتاب في الفلك هو كتاب "شكل الأرض" يُعَدُّ أهم كتبه، وهو أول كتابٍ فلك يكتب باللغة العبرية[7].**

**أما أبراهام بن عزرا (486-563هـ=1093-1167م)، فقد أَلَّف في الفلك والتنجيم كتباً عِدَّة منها :-**

**1- كتاب عن الاسطرلاب يسمى آلة النحاس.**

**2- ترجمة للفلكي المسلم "البتاني" على جداول الخوارزمي الفلكية.**

**3- كتاب الولادة، وكتاب القسمة والنَّصيب يُبيّن فيه الحوادث التي تحدث للإنسان بواسطة النُّجوم[8].**

**وإسحاق بن باروخ البالية الذي عمل فلكياً لدى المعتضد (415-462هـ=1024-1069م)[9]، ويتحدَّث آشتور عن علم الفلك عند يهود الأندلس فيقول: "وكان حساب "الدورات" في التقويم اليهودي قد حدَّده حسن بن مارحسن، وهو فلكي يهودي من قرطبة، وقد قام به بالتوافق مع نظام الفلكي العربي الشهير البتاني. وفي منتصف القرن الحادي عشر الميلادي كان ثَّمة عدد لا يستهان به من مفكري اليهود في الأندلس فلكيين، وقد اعتمدوا جميعاً على جداول ودراسات المسلمين"[10].**

**أمَّا في مجال الرياضيات فقد ظلَّت معرفة اليهود فيها محدودة، تقتصِرُ على بعض المحاولات التي تخدم قضاياهم الدينية، إلى أن عاش اليهود تحت حكم المسلمين وخصوصاً في الأندلس، وتوفرت لهم البيئة العلمية والأساتذة الكبار،**

---

(1)

(2) المقري، نفح الطيب، م2، ص128.

(3) القفطي، تاريخ الحكماء، ص143.

(4) NAXMAN ,A HISTORY OF JEWISH LITERATURE ,VOL.1 ,P.448.

(5) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص499.

(6) هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص172 ؛ NEHMAN ,THE JEWS ,VOL.2 ,P.103.

(7) م.ن ص172.

(8) م.ن ص173 ؛ ينظر: NEHMAN.THE JEWS ,VOL.2 ,P.103.

(9) HAIM BEINART ,SEVILLE ,ENCYCLOPEDIA JUDAICA ,VOL.14 ,P.1201.

(10) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.7.

**فتعلَّموا وبرز فيها عدد منهم أمثال إبراهيم بن يحيى الذي ألَّف كتاباً في المساحات والمقاييس، كانت له أهمية كبيرة فترجمه عالم الرياضيات أفلاطون التيفولي إلى اللاتينية في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي[1]. وأبراهام بن عزرا الذي ألَّف في الرياضيات كتباً عديدة أهمها كتاب في خواص الأعداد العشرة الأولى وكتاب في المقاييس الهندسية[2]. والسموءل المغربي الأندلسي الذي ألَّف "كتاب القوافي في الحساب الهندي"، وكتاب "إعجاز المهندسين"، وكتاب "المثلث القائم الزاوية"[3]، وكتاب "الباهر في الجبر" الذي يقول في مقدمته : "هذا الكتاب الذي جمعنا فيه أصول صناعةِ الجبر والمقابلة، وبرهنا منها على ما لم نجد أحداً برهن عليه، وكملنا بما أودعناه من الأعمالِ المبتكرة والأشكال المبتدعة، ما كان في أيدي الناس هذه الصناعة. وعلَّلْنا فيه ما زعم فيتاغورس أنه أدركه بطريق الوحي"[4].**

(1) هنداوي، الأثر العري في الفكر اليهودي، ص 174.
(2) م. ن، ص
(3) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص 472.
(4) السموءل، الباهر في الجبر، ص9.